٢١٩

HARLEQUIN

روايات احلام

صديقان.. وشيء ما!

جيسيكا ستيل

www.elromancia.com

مرمورية

صديقان.. وشيء ما!

كانت جازلين تعلم أنها لن تتزوج أبداً... وهذا لا يعني أنها تكره الرجال، لكن الحد الأقصى لصداقتها مع أي رجل عادة، هو ثلاثة مواعيد بعدها تدير ظهرها وتبتعد...

وهذا الأمر ناسب هولدن هاتاواي، فهو يريد صديقة تبعد عنه المعجبات المزعجات ولا تبني أوهاماً رومانسية على صداقتها معه.

لكن علاقتهما وصلت الآن إلى مفترق طرق، فقد تمنت جازلين لو ينسى أنها دوماً تطرد «أصدقاءها»، وأخذ خوفها يكبر يوماً بعد يوم من اقتراب «الموعد الأخير»!

جيسيكا ستيل

تقيم جيسيكا ستيل في قرية «ورمسترشير» الجميلة مع زوجها الرائع بيتر. يمتلكان كلبة تدعى «ديزي» تظن أنها آدمية وهما لا يحاولان إقناعها بالعكس؛ فهي تسيطر عليهما سيطرة كاملة. كان بيتر أول من شجّع «جيسيكا» على الكتابة، وبعد أن تعرضت روايتها الأولى للرفض، ظلّ يحثها على المحاولة من جديد. لحسن حظها، استطاعت حتى الآن أن تزور كل البلدان التي تحصل فيها أحداث رواياتها المختلفة وأن تجري فيها أبحاثاً تساعدها على كتابة القصص. تقول جيسيكا إن الفضل في ذاك يعود لبيتر، لأنه لطالما ساعدها وشجّعها.

١ ـ ثلاثة مواعيد فقط!

كانت جازلين تعلم أنها لن تتزوج أبداً. ولم يكن هذا ليقلقها، فهي نادراً ما تفكر في الأمر، رغم أنها فكرة ثابتة في رأسها لا تنزحزح.

لكن هذا لا يعني أنها تكره الرجال، فهي تخرج معهم كأي فتاة طبيعية في الثانية والعشرين من عمرها وغير مرتبطة بأحد. إنما حالما تلاحظ أن الرجل الذي تخرج معه بدأ ينظر إلى علاقتهما جدياً، تقطع علاقتها به. كان الحد الأقصى لعلاقتها بأي شخص، عادة، هو ثلاثة مواعيد.

ومساء يوم الأربعاء، وفيما كانت عائدة من عملها، كسكرتيرة في إحدى أهم شركات لندن القانونية، راحت تفكر في أن ما أعاد فكرة الزواج، أو عدمه إلى رأسها هو أبوها الذي بدا أنه يأخذ علاقته مع صديقته الحالية بجدية أكبر. وغريس كرادوك. صديقته تلك، سيدة محترمة بعكس معظم صديقاته السالفات.

ونادراً ما استمرت علاقاته الأخرى لأشهر. إنما ها قد مضت ستة أشهر منذ عرّفها أبوها على تلك المرأة التي تعرّف إليها هو في حفلة عيد الميلاد. كانت غريس أكبر سناً من معظم النساء اللاتي اعتاد أبوها أن يحضرهن إلى البيت. فقد بلغت الخامسة والخمسين من عمرها، وهي أصغر منه بسنتين، ومطلّقة منذ سنوات عدة. لقد تزوج أبوها ثلاث مرات. أتراه يفكر في الزواج للمرة الرابعة؟

أدركت جازلين أن قلقها لهذا الاحتمال، هو ما جعلها تفكر في الزواج

كثيراً. أرادت لأبيها السعادة، وكذلك لغريس، فقد أولعت بها هي أيضاً. ولكن، هل أبوها رجل مناسب للزواج؟ لا يبدو عليه ذلك. توفيت أمها عندما كانت في الخامسة من عمرها، وعرفت بعدها زوجتين لأبيها، وسلسلة من «الخالات»! وعاشت في بيت مشحون غالباً بثورات الغضب والمشاحنات والإتهامات المخيفة أحياناً إلى حد كان يدفع أباها إلى إبعادها إلى منزل جديها لقضاء بعض الوقت. وكانت تعود أحياناً قبل أن تهدأ الأحوال... ولذلك، أدركت جازلين، وفي سن مبكرة، أنها لا تريد الزواج إذا كان على هذا الشكل.

كانت سعيدة بعملها في شركة «لاتيمر وبراون»، وهي تعلم أنها ستنال ترقية هامة آخر العام لأن إحدى السكرتيرات القديمات ستتقاعد قريباً. وبما أن مهنتها تعنى بالعديد من قضايا الطلاق المؤلمة، فقد فضّلتها على زواج يقتصر حظه من السعادة على ستين في المئة، بحسب الإحصاءات. وكما يقال، سعيد في العمل سعيد في الحياة.

أوقفت جازلين سيارتها أمام بيتها في ضواحي باكنغهام شاير، ودخلت. ولاقاها أخشن كلاب العالم مظهراً.

ـ هالو باريمي.

رحّبت بحرارة بكلب الصيد الضخم الذي دخل متمهلاً منذ ست سنوات إلى استديو أبيها، واستلقى عند قدميه فأطعمه يوها. وعندما تركت له حرية الرحيل، لم يفعل، بل أظهر رغبته في البقاء. وقد حاولت جازلين مراراً أن تعرف ما إذا قدّم أحدهم شكوى لفقدانه، وعندما تأكدت من أن لا صاحب له، أبقته معهما.

وضعت جازلين إبريق الشاي على النار، فلا بد أن أباها سمع صوت سيارتها، إن لم يكن مستغرقاً في الرسم، وسيأتي لتناول كوب من الشاي.

وجهت حديثها إلى الكلب الذي تكهنت بأنه ترك الاستديو حال سماعه صوت السيارة: «أظنك تريد بعض البسكويت» وكان الكلب يحرك ذيله،

لكن عندما سمع كلمة «بسكويت» أخذ يهزه بقوة.

أطعمته جازلين، وكانت على وشك وضع إبريق الشاي في الحوض عندما لمحت سيارة فارهة متوجهة نحو المنزل.

فتمتمت: «يا لها من سيارة باهظة الثمن!».

وذلك بالرغم من أنها اعتادت رؤية زبائن أبيها، وخاصة الأثرياء منهم، الذين يقصدونه ليرسمهم.

كان يمكن لأبيها أن يصبح ثرياً أيضاً إذا ما قبل برسم كل ما يطلب منه من لوحات شخصية. لكنه فضل أن يرسم ما يتماشى مع مزاجه، وكانت النتيجة أنهما لم يصبحا من الأثرياء، وإن كان هذا لا يعني أنهما يكترثان للأمر مثقال ذرة.

أخذ ريمي ينبح قبل أن تتوقف السيارة. وعندما توقفت، رأت من النافذة رجلاً طويل القامة، أسود الشعر، في الثلاثينات من عمره، يرتدي بذلة قاتمة وكأنه قدم لتوّه من مكتبه. ولو لم تصح بالكلب ليهدأ، لقفز عليه وغطى بذلته بشعره الخشن القاسي.

غادرت المطبخ وأغلقت الباب خلفها، لتحجز الكلب. وفي الردهة، ولسبب تجهله، وقفت أمام المرآة تتفقد مظهرها. وجدت أنها تمكّنت، وبشكل ما، من المحافظة على أناقتها رغم نهار العمل الشاق، باستثناء عدد من شعيرات الكلب.

بلغ طولها مئة وسبعين سنتمتراً، وبدت رشيقة في ثوبها الأزرق. تأملت شعرها الأشقر الطويل الكثيف المحيط بعينيها البنفسجيتين وبشرتها التي وُصفت ذات مرة بالمذهلة. ورن جرس الباب فاندفعت تفتحه بسرعة، فعليها ألاّ تدع زبائن أبيها ينتظرون.

وقف بالباب رجل أطول منها بحوالى العشرين سنتمتراً. وفيما تسارعت دقات قلبها قليلاً، ابتسمت للقادم بعفوية وانتظرت منه أن يعلن غرضه، متكهنة به سلفاً.

لكنه، وعلى أيّ حال، لم يفعل ذلك على الفور، بل حدّق فيها، متأملاً سحنتها، وعينيها وفمها الجميل، قبل أن يقول بأدب: «أودّ أن أرى السيد بالمر».

كان صوته دافئاً ساحراً يبعث الاضطراب في نفس من تسمعه.

لقد شعرت فعلاً بتسارع دقات قلبها، لكنها ردت بحزم: «لن يتأخر أبي، هل تريد أن تتفضل وتنتظره».

ـ شكراً.

سارت جازلين أمامه إلى غرفة الجلوس قبل أن تتنبه إلى أنها، ولفرط تعبها، نسيت أن تسأله عما إذا كان على موعد مع أبيها.

نوت أن تصحح هذا الخطأ حال دخولهما إلى غرفة الجلوس، لكن رنين الهاتف منعها من ذلك.

فتحت باب الغرفة وهي تخاطب الزائر برقة: «تفضل بالجلوس ريثما أجيب على الهاتف».

ثم استدارت لترفع السماعة، قائلة بمرح: «آلو».

وسرعان ما تبدّد مرحها حين سمعت صوت توني جونستن الملهوف.

لقد خرجت معه الليلة الماضية ولآخر مرة، وظنت أنه أدرك من برودة تصرفاتها عندما راح يتصرف كعاشق ولهان، أنها لن تخرج معه مرة أخرى. لكن لا بد أنها أخطأت.

قال بحماسة: «كنت واثقاً من أنك وصلت إلى البيت».

فأجابت: «وصلت لتوّي».

ـ هل سأراك الليلة؟

آه، تباً، يبدو أنه لم يفهم. فردّت بأدب: «لا، مع الأسف».

ـ غداً؟

عليها أن تكون فظة، وأرغمت نفسها على القول: «آسفة، يا توني، لقد استمتعت بصحبتك، لكنني لن أخرج معك مرة أخرى».

ساد صمت مطبق ما لبث أن خرقه صوت شبه باكٍ: «جازلين! ظننت أن هناك شعور ما بيننا».

وتمسّكت بموقفها، لقد أعجبها في البدء وإلا لما خرجت معه، كما كانت تكره أن تجرح شعور أي إنسان. لكن ما هذا الاضطراب الذي يبدو عليه؟ وهي لم تخرج معه سوى أربع مرات!

قالت له بلطف: «آسفة لأن هذا غير صحيح».

ـ ولكن.. لكنني كنت أفكر في علاقة طويلة الأمد!

بدا هذا جنوناً، فهما يعرفان بعضهما بالكاد.

ـ إذا تكوّن لديك مثل هذا الإنطباع، فأنا آسفة.

ـ ظننت أننا قد نفكر في الخطوبة بعد لقاءات عدة.

ـ الخطوبة!

كانت جازلين رقيقة القلب. ولم تشأ أن تتصرف بفظاظة معه، لكن تفكيره في الزواج جعل شيئاً ما في داخلها يتجمّد.

قالت له بسرعة: «لم يكن هذا وارداً بيننا على الإطلاق يا توني».

ـ لقد جرحت شعورك الليلة الماضية. أدركت ذلك، لكنك جميلة للغاية فلم أستطع مقاومة مشاعري. أعدك بألاّ يتكرر ذلك، أعدك..

كان هذا سخيفاً! وأوقفته جازلين عند حده: «إسمع، يا توني، كما سبق وقلت لك، استمتعت بصحبتك، لكن لا فائدة من خروجنا معاً مجدداً».

ـ ولكن..

ـ ولكي أحتفظ بذكريات حلوة عن الأوقات التي أمضيناها معاً، أفضّل ألاّ تتصل بي مرة أخرى.

ـ لكنني أريد أن أتزوجك!

بعد أن تواعدا أربع مرات فقط! ووجدت نفسها مرغمة على التصرف بفظاظة أكبر: «أنا آسفة، آسفة جداً، لكنني لا أريد أن أتزوجك!»

ـ جازلين!

فقالت بهدوء: «وداعاً يا توني».

وبالرغم من أنها شعرت بالتكدّر والقلق، إلا أنها لم تستطع أن تقفل سماعة الهاتف في وجهه، بل انتظرت، بأدب، كلمة وداع منه.

وبعد لحظات سألها: «هل ستتصلين بي إذا غيرت رأيك؟».

ـ طبعاً.

أجابته بذلك رغم علمها بأن هذا لن يحدث أبداً. واعتبرت سؤاله كلمة وداع، فوضعت السماعة. شعرت بمزيج من الحزن لإيذائها شعوره، وشيء من الضيق لما وصل إليه توني، لكنها استدارت وإذا بها تُصعق لما رأته. لقد محا طلب الزواج الذي تقدّم به توني، من ذهنها أن زائراً ينتظر أباها. ولو تذكرت ذلك، لاطمأنت إلى دخوله إلى غرفة الجلوس وأغلقت الباب كي لا يتناهى إلى مسمعه حديثها.

لكن هذا لم يحدث. فالرجل الغريب، وبعد أن تجاهل دعوتها لدخول غرفة الجلوس، لم يتزحزح قيد أنملة من حيث تركته! إنما بقي واقفاً هناك.. يستمع بتمعّن إلى كل كلمة لفظتها وإلى رفضها عرض توني جونستن!

وليثبت لها أنه ليس أصم.. ودون أن يعتذر ولو بكلمة عن إصغائه الوقح إلى حديثها. نال معلقاً بالوقاحة نفسها: «غير مهذب».

شعرت جازلين بالانزعاج والاحمرار، وتمنت لو تتذكر ما قالته حرفياً.

ـ اضطررت لقول هذا.

جاء ردّها أشبه بالاعتذار رغم أنها تمنت أن تقول له أن يهتم بشؤونه الخاصة. لكنها تذكرت في الوقت المناسب أن هذا الرجل زبون لأبيها.

وقال بجرأة: «أكنت مضطرة حقاً؟».

لم تكن تنوي مواصلة هذا الحديث. لكن شيئاً ما في هذا الزائر، أو لعله ميلها إلى الصراحة دفعها إلى أن تجيب: «إنه ذنبي. كان من المفروض أن

أتوقع هذا، لكن يبدو أنني لم أتنبّه للدلائل».

ـ الدلائل؟

فحدّقت جازلين فيه. إنه يدرك ما تعنيه، إنما يبدو أنه يريد معرفة كافة التفاصيل. لكن لماذا تجيبه على سؤاله؟

ـ بعد أربعة مواعيد أخذ يتحدث عن الزواج. ما كان عليّ أبداً أن أخرج معه في ذلك الموعد الرابع، فأنا نادراً ما أفعل ذلك.

ـ وهل تنهين علاقاتك عادة بعد ثلاثة مواعيد؟

لم تصدّق أنها تناقش هذا الأمر معه، وأنها تجيبه من جديد: «نعم... إلا إذا كان شخصاً أعرفه منذ زمن طويل ويعلم أنني لا أهتم بالاستقرار».

وهمّت بتغيير الموضوع بأدب، إذ شعرت بأنها أكثرت من الكلام، لكن يبدو أنّ الرجل الغريب لم ينته بعد.

ـ ألا يهمّك الزواج؟

حملقت فيه ولم تعرف ما إذا عليها أن تضحك أم تبكي.

ـ الزواج فكرة جيدة بالنسبة لأيّ شخص آخر.

ـ ولكن ليس بالنسبة لك؟

خاض في الموضوع أكثر مما ينبغي، ولم يعجبها ذلك.. فهي لا تعرفه. وعندما لم تجب، عاد يسألها: «هل تداوين قلباً جريحاً؟».

ولم تستطع إلاّ أن تضحك بصوت خافت، مبرزة أسنانها الرائعة المنتظمة، وهمست لنفسها: «لا فائدة».

لم تعرف كيف تتصرف مع هذا الرجل الذي يضحكها دون جهد في حين أنها مستاءة حقاً. حدّق فيها وبان عليه الإعجاب بأساريرها المشرقة. راحت تتساءل عن السؤال الذي سيطرحه الآن، حين سمعت أصواتاً تنبىء بقدوم أبيها، فقالت بأدب: «أرجو المعذرة».

وأدركت أنه هو أيضاً شعر باقتراب شخصٍ ما. قابلت أباها في آخر الردهة، وتمتمت: «الديك زائر».

قررت أن تخرج الكلب في نزهة، فصعدت إلى غرفتها لتغيّر ملابسها، وارتدت بنطلوناً وكنزة.

غابت جازلين عن البيت قرابة الساعة. وحين عادت، كانت قد توصلت إلى قناعة حول جرحها مشاعر توني جونستن. فصحيح أنها خرقت القاعدة التي وضعتها لنفسها وخرجت معه للمرة الرابعة، لكنها لم توهمه، ولو للحظة، بأنها تكنّ له مشاعر معيّنة. ولو أظهر لها أن مشاعره نحوها تتعدّى مشاعر شخصين يستمتعان بوقتهما معاً، لرفضت الخروج معه الليلة الماضية.

لم ترَ أثراً للسيارة الفخمة أمام البيت، لكنها لم تتوقع أن تراها.

ـ هل شربت الشاي؟

طرحت هذا السؤال على أبيها، حين رأته يتصفح مجلة فنية في غرفة الجلوس، واعترفت لنفسها بأنه لم يكن أول سؤال خطر لها.

السؤال الأول الذي لم تطرحه، أجاب عليه أبوها من تلقاء نفسه، حين سألها: «أتعرفين من كان الزائر؟».

ـ زبون؟

فهز إدوين بالمر رأسه، وأجاب: «إنه هولدن هاتاواي».

هولدن هاتاواي؟ بدا لها الاسم مألوفاً، فسألته: «أين سمعت هذا الاسم من قبل؟».

ـ كنت لتسمعي به لو أن شركتك تتعامل مع شركة «مشاريع زورتك». إنه عضو في مجلس إدارتها.. ولكن...

ـ مشاريع زورتك؟

لم يعنِ لها الاسم شيئاً.

ـ هي جزء من مشاريع ضخمة متنوعة.. تتعلق بالهندسة، والتصميم...

أجابها أبوها على سؤالها بغموض، وقد بدا أن معلوماته لا تزيد كثيراً

عن معلوماتها.

قالت وقد راودها إحساس غامض: «وهل يفترض بي أن أعرف اسمه؟».

ـ لا بد أنك سمعت غريس تذكر اسمه.

هذا صحيح، لم ترزق غريس بأولاد، لكن لها ابن أخت.

ـ إنه ابن أخت غريس الذي تفكر فيه كثيراً.

لقد تذكّرت الآن. لم تأتِ غريس على ذكر شهرته قط، لكنها رددت اسمه مرتين أو أكثر، هولدن، أثناء الحديث عن تقديمه خدمة ما لها. وتابعت قبل أن يستطيع الرد، ظناً منها أن غريس أقنعت أباها بذلك: «ما الذي كان يفعله هنا؟ هل سترسم صورته؟».

ـ آه، كلا. كما أشكّ في أن يتمكّن من البقاء ساكناً لمدة طويلة، إلا إذا كان أمامه كومة من المعاملات، فهو رجل مشغول جداً.

إذا كان مشغولاً إلى هذا الحد، فلماذا زار والدها إذن؟ سألت أباها بسرعة: «هل غريس بخير؟».

شعرت بالعطف على صديقة أبيها، وبالقلق أيضاً.

ـ غريس بخير. وهي تمضي بعض الوقت في منزل شقيقتها الكبرى، والدة هولدن. لقد بحث عن رقم هاتفنا في الدليل ليتصل بنا، لكنه عندما رأى عنواننا، أدرك أنه سيمرّ من هنا اليوم. وبما أنه يعرف أن خالته في «كورنوال»، فكر في أن يزورنا شخصياً.

لم تفهم جازلين شيئاً، فسألته: «ولما لا يريد أن تكون غريس هنا عندما يأتي؟».

ـ لأن عيد ميلادها يصادف بعد أسبوع، كما تعلمين. وقد اعتاد أن يصطحبها إلى سهرة في مكان ما يوم عيد ميلادها.

سألته جازلين وقد خمّنت أن هولدن يريد أن يستشير أباها في الأمر:

ـ هل يخطط لمفاجأة ما؟

- لا، لا. يبدو أن غريس قد حدّثت أختها عني، وعن علاقتنا التي تقوى يوماً بعد يوم، مما جعل هولدن يتساءل عما إذا كنت سأستاء، في حال وضعت خطة ما لعيد ميلادها.

فقالت بإعجاب: «هذا تصرف حسن منه. وأنت، هل خططت لشيء ما؟».

- بالنسبة لها؟ حسناً، كنت أخطط للخروج مع غريس لتناول العشاء في مكان ما.

- وهل أخبرته بذلك؟

وعندما أومأ أبوها، عادت تسأله: «وماذا قال؟».

- سألني على الفور عما إذا بإمكانه أن يدعونا نحن الأربعة، فأجبته بأن هذا يسرني جداً.

وابتسم أبوها الذي كان نحيلاً، معتدل الطول ثم أضاف: «هل يناسبك هذا، يا جازلين؟».

- نعم، لا بأس في ذلك. هل تعرف إلى أي مطعم ستذهبون؟

- قلت «نحن الأربعة» مما يجعلك واحدة منا.

قالت له بدهشة: «أنا؟».

ثم ابتسمت له وتابعت تقول: «آسفة! عندما قلت إنكم أربعة، ظننت أنك تعني أنت وغريس وهولدن هاتاواي وزوجته».

- إنه عازب، ولم يتزوج قط. لا يبدو لي بعيداً عن أجواء اللهو والتسلية.

وتذكرت جازلين الرجل. عينان رماديتان ثاقبتان، فك حازم، وذلك الفم.. نعم، إنه ساخر هازل، لكنه، والحق يقال، جذاب للغاية.

وسألها أبوها: «هل ستأتين؟ أودّ أن تكوني معنا».

فأجابت دون تردد: «يسرني هذا جداً».

لم تكن تعلم ما إذا علم هولدن بوجودها من قبل، وما إذا كانت فكرة

إضافتها إلى لائحة المدعوّين على العشاء وليدة الساعة. لكن، حتى وإن لم يشأ أبوها أن تكون معهم، فهي تحب غريس وتود أن تحتفل معها بعيد ميلادها.

وفي الأيام التالية وجدت جازلين نفسها تفكر غالباً في هولدن هاتاواي، وهذا ما استغربته. إذ كان لديها العديد من الأصدقاء من الجنس الآخر، ولم يكن من عادتها التفكير في أي منهم...

لكن هولدن هاتاواي، اختفى من ذهنها يوم السبت عندما تلقت رسالة من توني جونستن يخبرها فيها بأنه يحبها، ويطلب منها أن تتصل به.

شعرت بأنها لن تستطيع الاتصال به، فكتبت إليه تخبره برقة بأنها لا تحبه، وأنها أدركت أنها لن تحبه أبداً رغم استمتاعها بصحبته وشعورها بالمودة نحوه.

لكن مساء الاثنين اكتشفت أن رقتها شجّعته ومنحته الدفع الذي يتطلّع إليه، فاتصل بها. كانت قد وصلت لتوّها من العمل ولم تكد تحيي غريس، التي عادت عصر ذلك اليوم ووقفت في المطبخ تحضر طعاماً لذيذاً، حين رنّ جرس الهاتف.

وطال الاتصال، من جانب توني على الأقل. ولكن كلما طال حديثه، كلما شعرت هي بالبرودة نحوه، ما أرغمها على إنهاء الحديث بعد أن كررت له أنها لن تخرج معه قائلة: «آسفة يا توني، أنا مشغولة الآن. عندنا زائرون».

ونظرت إلى غريس تلتمس عذراً. وعندما وضعت السماعة وجاءت لتقف قربها، قالت غريس: «يبدو عليك القلق، هل بإمكاني مساعدتك؟».

هزت جازلين رأسها، وابتسمت وهي ترى نظرة الاهتمام في عينيّ غريس، ثم سألتها بمرح: «كيف يمكنك التخلص من عريس لا تريدينه دون أن تجرحي شعوره يا غريس؟».

- لا أعرف أيّ طريقة. تزوجت وأنا في الثامنة عشرة من عمري من

«آرشي كرادوك» كي لا أغلق بابي في وجه الخاطبين. وأمضيت بعد ذلك ثلاثين سنة أتعلم الندم.

وزمت غريس شفتيها بجفاء، فاندفعت جازلين تعتذر: «آسفة».

ابتسمت المرأة، وقالت: «لا تأسفي، فالآلام انتهت. يمكنني أن أتحدث إلى «آرشي» الآن دون أن أشعر بالغضب».

فسارعت جازلين تقول: «أما زلتما على اتصال؟ هل لديك مانع من سؤالي هذا؟».

ـ أبداً، ونعم، ما زلنا على اتصال. لا يمكنك، أو لا يمكنني أنا على الأقل، مهما كان آرشي سيئاً، أن أبتر من حياتي ثلاثين عاماً أمضيتها وأنا أحاول إنجاح زواجنا، ثم أتابع حياتي وكأننا لم نعرف بعضنا يوماً. لكن آرشي هو الذي يتصل وليس أنا، وخاصة عندما يواجه مشكلة ما.

قاطعهما دخول أبيها: «كيف حال أجمل فتاتين لدي؟».

ورأته جازلين سعيداً. أخذت الكلب في نزهة، وتوقّعت أن يشغل بالها توني جونستن المزعج، لكنها وجدت نفسها تفكر في هولدن هاتاواي.

لم تعرف السبب، لكن أما كان عليه أن يعرّفها بنفسه بدلاً من أن يجعلها تظن أنه من زبائن أبيها؟

ولكن لماذا يعرّفها بنفسه ما دام قد جاء لرؤية أبيها فقط؟ إنما هي مدعوة على العشاء أيضاً. هولدن هاتاواي لم يكن يعلم بخطة أبيها قبل مقابلته، ومع ذلك فهذا ليس بسبب يمنعه من أن يقول إنه ابن أخت غريس. أخذت جازلين تتساءل عما إذا كان عليها أن تتخذ مهنة أخرى، فقد علمها العمل في شركة المحامين ألاّ تأخذ الأمور بظواهرها!

عادت إلى البيت وهي تجاهد لتقاوم شعوراً بالسوء.

كانت غريس تمضي عندهم بضعة أيام، وجازلين تستمتع بصحبتها بقدر استمتاع أبيها تقريباً. كانت تشعر بالسرور عندما تعود من عملها في المساء لتجد غريس في البيت هادئة رقيقة حنون، وقد أعدت أطباقاً لذيذة، شهية.

طردت جازلين هولدن هاتاواي من ذهنها. إنه رجل ساحر محنّك، ولعله في محيطه لا يحتاج إلى إزعاج نفسه بمثل هذه التفاهات كأن يكشف عن هويته وعما في ذهنه لأي إنسان. . حتى وإن كان ذلك الإنسان بنت صديق خالته.

كان لسرور جازلين بإقامة غريس في بيتهم سبب آخر. فقد راح توني جونستن يتصل بها كل مساء حتى أضحى مزعجاً للغاية، وسرّها أن تجد في صديقة أبيها الهادئة شخصاً يمكنها أن تثق به.

طرحت عليها هذا السؤال عندما اتصل توني مرة أخرى: «ماذا يمكنني أن أفعل، يا غريس؟».

ـ بما أنك تكرهين أن ترفعي شكوى ضده أو أن تطلبي من أبيك التحدث إليه، فأنا لا أنصحك يا عزيزتي، سوى بأن تنتظري حتى ينتهي الأمر تلقائياً. فأنت لم تشجعيه على مثل هذا التصرف، وأظن أن عليك أن تصبري شهراً أو نحوه، إذا استطعت. أنا واثقة من أن هذا الشاب سيتعب في النهاية، وسيبحث لنفسه عن فتاة أخرى.

أن تمضي شهراً وهي ترفع السماعة لتسمع صوت توني جونستن، ليس بالأمر الذي يمكن لجازلين احتماله. لكنها اكتشفت أن التحدث عن ذلك مع غريس قد أراحها كثيراً.

يوم الجمعة، تأخرت جازلين في مكتبها، ومع ذلك، تمكّنت من إعداد نفسها للسهرة.

اكتشفت أن العشاء سيكون في مطعم «الليندن»، وقدّرت جازلين أن هولدن هاتاواي سأل أباها عن المطعم الذي يفضله. فهذا مطعم أبيها المفضّل، وصاحبه «ريكس ألفورد»، وهو رجل مطلّق في الثلاثين من عمره، من أصدقاء جازلين القدامى، وهي غالباً ما تراه في الحفلات. خرجت معه مرتين ورفضت دعوته الثالثة، لكنهما بقيا صديقين. وريكس من أسرة ثرية إذ أن أباه اشترى له المطعم، كما أنه رجل أعمال متمرّس، فقد تفاوض مع

أبيها على عمولة معيّنة لكي يعرض له لوحاته في المطعم.

أخذهم هولدن في سيارته إلى المطعم. كانت جازلين في غرفتها عندما وصل، وإذ شعرت بأن جعل مضيفهم ينتظر هو تصرف غير لائق، انتظرت حتى حيّا خالته، ثم غادرت غرفتها.

بدت غريس جميلة في ثوبها الكحلي اللون الأنيق. كما شعرت جازلين، بشعرها الأشقر الباهت المنسدل على كتفيها، وثوبها الأسود الذي اشترته خصيصاً لهذه المناسبة، بأن مظهرها جميل هي أيضاً. وعندما نظرت في عيني هولدن الرماديتين الرقيقتين، شعرت بالحاجة إلى معرفة رأيه بمظهرها. وقال أبوها يقدمها: «أنت تعرف ابنتي جازلين».

ـ طبعاً.

وجعلته لهجته الحازمة بغير حاجة إلى مصافحتها، إلا أنّه تقدم منها مادّاً يده.

شعرت بيده دافئة، وعندما تمتمت بكلمة الترحيب ورفعت بصرها إليه، رأته كما تتذكره ما عدا أن سترة العشاء جعلت مظهره مختلفاً قليلاً.

سألها بأدب: «كيف حالك يا جازلين؟».

فأجابت: «بخير».

شعرت بحاجة إلى الانفراد بنفسها، فتابعت تقول: «سأعطي الكلب بعض الطعام لأننا سنتركه وحده».

وبعد أن أعطت «ريمي» بعض الإرشادات، وشغّلت له التلفزيون، استعد الجميع للخروج.

كانت غريس ضيفة الشرف، إلاّ أن جازلين وجدت نفسها جالسة في المقعد الأمامي إلى جانب السائق. وعندما التفتت لتعلّق على الأمر، رأت غريس الجالسة في المقعد الخلفي ممسكة بيد أدوين بالمر وملامح الرضا مرتسمة على وجهها.

علّق أبوها على الطقس، وأشارت غريس إلى مدى حسن حظها فهدايا

عيد ميلادها كانت مدهشة. وسألها هولدن: «هل كنت تعلمين أن السيد بالمر يرسمك؟».

ـ أبداً! علمت أن أدوين وضع خطوطاً لرسمي. لكن اللوحة شكّلت مفاجأة لي ومفاجأة رائعة جداً.

عكس صوت غريس بهجتها، وشعرت جازلين بسعادة بالغة من أجلها، كما كانت اللوحة مفاجأة لها هي أيضاً... لكنها أظهرت عمق شعور أبيها نحو غريس، إذ أنه لم يرسم صورة لامرأة إلا لقاء أجر.

قدّمت جازلين لغريس ديوان شعر صغير كانت تعلم أنه المفضل عندها. كما علمت أن هولدن أهدى خالته قطعة فنية من الخزف الممتاز المنقوش كانت قد أظهرت إعجابها بها، منذ شهرين.

لكن اللوحة شكّلت محور الحديث حتى وصلوا إلى المطعم. ولم تكن جازلين تتوقع رؤية صاحبه، فهي تعلم أن ريكس ألفورد يستخدم موظفين ممتازين ليترك المطعم مساء الجمعة ويعيش حياته.

لكن ما أن دخلوا، حتى تقدّم صاحبه نحوهم، ليحييهم، أو بالأحرى جاء ليحييها هي، وهتف قائلاً: «جازلين بالمر، لم أكن أعلم أنك حجزت مائدة لهذه الليلة!»

فأجابته: «أنا لا أخبر أيّ إنسان».

وقبّل وجنتها معلقاً: «أما زلت حرة تتنقلين كالفراشة هنا وهناك؟».

ثم أضاف وهو يتأملها بتمعن: «ألم ينجح رجل ما في الإمساك بك؟».

فضحكت، وردّت: «لا أخرج أبداً دون حذاء الركض».

ـ أتدركين أنك حطمت قلبي؟

كانت تحب ريكس رغم عبثه، فأجابته على الفور: «أنا واثقة من أن جرحك سيلتئم».

وشعرت بيد حازمة تمسك بذراعها، فنظرت إلى صاحب تلك اليد، ورأت أن هولدن ينتظر بفارغ الصبر لتنهي حديثها كي يتابعوا طريقهم إلى

مائدتهم. ولم تعرف ما إذا عليها أن تسخط أو تدهش أو تعتذر. لكن قبل أن تستقر على رأي، شاهدت أباها يتكلم، وهو يشير إلى اللوحات المعروضة في المدخل، موضحاً أنها مرسومة بريشته.

بعد ذلك استقروا جميعاً حول المائدة، وأمامهم المقبلات. أخذت جازلين تقرأ قائمة الطعام التي وضعها النادل في يدها وفي نفسها شيء من الاستياء من هولدن هاتاواي. لا بأس، ربما لأنه المضيف، ولأن خالته ضيفة الشرف، عليها أن تقنع بمركز متواضع.. لكنها تبادلت بعض التعليقات وحسب مع ريكس ألفورد ولثوانٍ معدودة.. فلماذا تدخل هولدن هاتاواي، لافتاً نظرها إلى تصرفاتها؟

حسناً، ربما بدا ريكس ألفورد مسروراً بالوقوف معها والتحدث إليها طوال الليل، لكنها عادته.. وهو لا يعني شيئاً بذلك... على أيّ حال، ماذا في ذلك؟ فهذا ليس من شأن هولدن هاتاواي الذي أخذ على عاتقه مسؤولية تصحيح تصرفات الناس.

وعندما أدركت أن انفعالها يزداد خصوصاً ضد هولدن هاتاواي، سيطرت على نفسها. حفلة العشاء هذه مخصصة لغريس، ولا ينبغي أن تفسدها، كأن تظهر الجفاء لمضيفها.

ورفعت بصرها عن القائمة لتلاقي عيناها عينين رماديتين ثابتتين، عينا الرجل الذي كان تشعر نحوه بالتمرد. كانت نظراته باردة، وبدا واضحاً أنه لا يهتم مثقال ذرة بجفائها. وأجفلت جازلين حين أدركت أنه لم يسبق لأحد من معارفها أن عاملها بمثل عدم الاكتراث هذا، رغم أنه حافظ على تهذيبه معها.

سألها بأدب: «هل اخترت ما تريدين؟».

لم تكن تكترث بتغيّره من الظرف البالغ إلى التهذيب الصرف. وأجابته بتهذيب مماثل لأدبه: «أظن أن السمك يناسبني».

قالت ذلك دون أن تقرأ القائمة، فلا بد أن معظم المطاعم تقدم

المأكولات البحرية مساء الجمعة.

بعد ذلك حوّل هولدن هاتاواي انتباهه إلى خالته. ومن أجل خالته وحبها لها، طردت جازلين من ذهنها الأفكار الثائرة ورأيها بهولدن. وأثناء تناول الطعام، اكتشفت أنها نسيت كل عدائيتها تجاهه وأخذت تتصرف بشكل طبيعي.

لم تعرف إن كان يتصنع الظرف بسبب عيد ميلاد خالته. وبعد فترة، أدركت جازلين أنها لا تستمتع بسهرتها وحسب، بل نسيت كلياً مشاعر السخط التي أثارها فيها هولدن.

استمتعت بصحبته وشعرت أنها تحب روح النكتة فيه، كما وجدت نفسها تضحك لبعض القصص الشيقة التي سردها. ثم اكتشفت، عندما نظرت إليه في إحدى المرات، أن عينيه ترمقانها بدفء أكبر من السابق وهو يرى فمها الضاحك وعينيها المرحتين.

حوّل نظراته فجأة، فسرّها ذلك. لم تعانِ، من قبل، من تسارع خفقات قلبها. لكن نبضات قلبها كانت تخفق بسرعة فعلاً، وعليها أن تتنبّه لذلك!

وبعد لحظات، ساورها الشك في أن يحدث لها هذا. وعندما تناولوا القهوة، كانت واثقة من أن سبب تسارع دقات قلبها يعود إلى البهار في الصلصة.

تذكّر أبوها فجأة شيئاً ما، فقال مخاطباً إيّاها: «بالمناسبة، نسيت أن أخبرك. تلقيت مكالمة هاتفية قبل أن تعودي إلى البيت من العمل».

وكان لدى جازلين فكرة عن المتصل فانقبض قلبها، قبل أن يضيف: «إنها من شخص يدعى توني كما أظن».

وانتبهت جازلين إلى الثلاثة الذين يحدقون إليها. غريس التي تعرف كل التفاصيل عن توني جونستن، أبوها الذي يجهل كل شيء، وهولدن هاتاواي الذي كان موجوداً حين طلبت من توني عدم الاتصال مرة أخرى.

وتابع أبوها يقول: «قال إنه سيتصل مرة أخرى، فأعلمته أننا سنخرج

الليلة وأنك قد تتصلين به».

قالت له بهدوء، وهي تعلم بأنها لن تفعل: «شكراً يا أبي».

لم تستطع أن تقاوم رغبتها في إلقاء نظرة على هولدن. وكان يتأملها، لكنها لاحظت من ملامحه أن موضوع توني لا يثير اهتمامه على الإطلاق. بدا جلياً أن الأمر بالنسبة إليه، لا يتعدّى كونه سمعها ذات مرة تقول لشخص اسمه توني إنها لا تريد أن تتزوجه، فنبذ الموضوع من ذهنه لتفاهته ونسي كل شيء عنه بعد ذلك.

لكن هولدن هاتاواي رجل لا ينسى، وقد برزت هذه الحقيقة عندما دفع الحساب ونهضوا لمغادرة المطعم. كانوا في طريقهم إلى الباب وقد سبقهم هولدن وفتحه لخالته، عندما رأت غريس لوحة لأدوين بالمر لم تكن قد رأتها من قبل. وفي الوقت نفسه لمحت جازلين ريكس ألفورد قادماً نحوهم.

أمضت جازلين أمسية رائعة فلم تشأ أن تفسدها بملاحظة فظة. وهكذا، وخوفاً من أن تُتهم مجدداً، وبصمت، بنسيان أصول حسن التصرف، أصرت على الخروج.

قالت له بعد أن أصبح من القرب منها بحيث لم تستطع تجاهله: «تصبح على خير يا ريكس، كان الطعام لذيذاً».

ثم خرجت بسرعة من الباب. وتأوهت على الفور بصوت مرتفع عندما برز توني جونستن من الظل حيث كان ينتظرها على ما يبدو.

ـ لماذا لم تتصلي بي؟ قال أبوك إنك ستفعلين.

يبدو أن أباها أخبره أيضاً عن مكانهم.

ـ توني، أنا...

وأدركت أنها لم تغادر المطعم وحدها حين سمعت صوت هولدن يقول بهدوء: «هل ستقدمينني إلى صديقك، يا جازلين؟».

فقال توني بلهجة عدائية، قبل أن تتمكن من تمالك نفسها: «أنا حبيبها».

ورد هولدن باختصار: «ليس الليلة، الآنسة بالمر برفقتي الليلة!»

ـ لكنني انتظرت هنا لكي...

أخذ توني يحتج، لكن هولدن لم تكن لديه أيّ نيّة للنقاش. وقبل أن ينهي توني كلامه، أمسك بذراعها، وجرّها نحو موقف السيارات، فرأت خيبة الأمل ترتسم على وجه توني.

أغاظ تصرفه جازلين، فقد اعتادت أن تتخذ قراراتها بنفسها.

وقالت له بحدة وهما يقفان قرب سيارته الفخمة: «لم يكن ذلك ضرورياً».

وفهم توني، على ما يبدو، أن وجوده غير مرغوب فيه، إذ لم يعد له أثر.

ـ ألم أسمعك، منذ تسعة أيام، تخبرين (حبيبك) هذا أنه أصبح حبيبك سابقاً؟

إنه إذن يتذكر!

ـ لا علاقة لذلك بالأمر، فقد جرحته. كان بإمكاني أن أعامله برقة أكبر!

ـ لهذا السبب ما زال يحوم حولك. أما زلت تعلّقين الساذج المسكين بحبائل الأمل؟

الساذج المسكين! لأن توني يريد أن يتزوجها!

ـ أعلقه بحبائل الأمل؟ كنت صريحة معه.. أنا..

فقال هولدن بحدة: «وهكذا كنت أنا!»

ثم أضاف بنعومة: «ساعيني إذا ما بالغت في حمايتك، ظننت أنك..».

هتفت عندما اتضحت أمامها الصورة: «بالغت في الحماية!»

لم تكن تفكر في نفسها، بل حصلت على جواب السؤال الذي ظل يعتمل في ذهنها طوال الأيام التسعة الماضية، وأضافت بحدة، وبلهجة اتهامية: «أنت تبالغ في حماية خالتك أيضاً، أليس كذلك؟»..

ـ خالتي!

ردد هذه الكلمة وكأنه لم يفهم ما تقصده، أو تغيرّ الحديث المفاجيء. لكن جازلين لم تشكّ لحظة في أنه يعي تماماً ما تقوله.

قالت تتهمه وقد جُرحت كرامتها من أجل أبيها، وشعرت بارتباك عظيم في أعماقها: «إن زيارتك يوم الأربعاء الماضي لم تكن من أجل حفلة عيد ميلاد غريس، بل لتعاين أبي! لتتفحص أحواله، لتتحرى عنه، ولتخضعه لفحص شامل».

وسكتت لتلتقط أنفاسها وهي تحملق فيه. وفي موقف السيارات المضاء، أخذ هولدن يبادلها التحديق. لم يحوّل نظراته كما لم يبدُ عليه أي خجل أو ارتباك، بل سألها: «وماذا في ذلك؟».

فانفجرت تقول: «أنت حقير. كيف تجرؤ على دعوة أبي على العشاء؟ كيف تجرؤ على دعوتي أنا أيضاً؟».

قال بحزم: «أجرؤ على ذلك لأن مصلحة وسعادة خالتي تهمانني، لا سيما بعد ما عانته في الماضي».

وحوّل نظراته الغاضبة عنها حين سمع صوت خالته غريس وأبيها ورآهما قادمين نحوهما، ثم أضاف بصوت خافت عدائي: «وإذا كنت تراعين أحاسيس خالتي كما يبدو عليك، لكبحت طبعك المندفع المتهور هذا وسمحت لهذا الاحتفال بعيد ميلادها بأن ينتهي بالسعادة نفسها كما بدأ».

نظرت إليه جازلين بازدراء لم يترك فيه أي أثر.. ثم تحوّلت عنه. يا له من متغطرس! أرادت أن تؤلمه أكثر، لكن تباً له، فقد كان على حق، إنه عيد ميلاد خالته. وعندما فتح لها الباب الأمامي لتركب، فتحت الباب الخلفي وصعدت. لم تكن لتحتمل فكرة الجلوس قرب هذا الرجل الذي لا يطاق والذي يريد حماية الآخرين!

* * *

٢ ـ كأنها عمته العانس

مندفعة متهورة.. هي؟ منذ عرفته فقط.. فكّرت جازلين في ذلك ساخطة مراراً أثناء عطلة نهاية الأسبوع. وهي لا تتذكر أنها انفجرت مرة غضباً كما حدث معه.

لكن أليس لديها سبب لذلك؟ يا للشيطان المتغطرس! «الآنسة بالمر معي الليلة» هذا ما قاله بالضبط وكأن عليها أن تشكره لذلك! من يظن نفسه ذلك المتغطرس؟ لم تعرف قط أنها مندفعة ومتهورة حتى تعرفت إليه!

كانت جازلين منحرفة المزاج، ومتضايقة للغاية عندما راح توني يزعجها باتصالاته الهاتفية يومي السبت والأحد.

ـ إسمع يا توني، عليك أن تكف عن الاتصال بي، أو عن مراسلتي.

فقال بلهجة الإتهام: «لديك حبيب جديد الآن، ولا يهمك أنني أتعذب بسببك».

ـ توني، أرجوك! لا أريد أن أجرح مشاعرك، صدقني. لكن لا فائدة من حديثنا على الإطلاق.

وسكتت، ثم أخذت نفساً عميقاً وقالت برقة: «لن أخرج معك مرة أخرى».

لم ينفعها ما قالته، إذ اتصل بها مجدداً نهار الإثنين. كما اتصل بها ذلك المساء عند عودتها.

أما أبوها، المستغرق في عالمه الخاص، فلم يكن يعلم شيئاً عمّا يدور

حوله. كانت غريس في المنزل عندما وصلت جازلين يوم الأربعاء، وحين رنّ جرس الهاتف، ارتسمت على وجهها نظرة فريسة أدركها الصياد. فسألتها غريس بعطف: «هل ما زال توني يتصل بك؟».

فأجابت جازلين بقلق: «نعم... يومياً، عليّ أن أجيبه وإلا سيزعج أبي».

ـ هل أجيب أنا؟

كان العرض مغرياً، لكنها هزت رأسها وتمنت لو تقتنع بما قالته غريس عن أنه سرعان ما سيتعب من ملاحقتها. لكن يبدو أن ما من أمل في ذلك، بل إن الأمر يزداد سوءاً مع الوقت. كان الاتصال من توني، وعادت منه جازلين مرهقة المشاعر.

قالت غريس وهما يتناقشان في الأمر: «ما أنت بحاجة إليه هو أن تغادري البيت لفترة».

ـ يا للسعادة!

فكرة أن تبقى في مكان لا يمكن لتوني أن يصل إليه بدت كالنعيم. وألحّت غريس عليها: «ألا يمكنك أن تأخذي إجازة لأيام من العمل؟».

ـ أظن أنه بإمكاني ذلك، لدي كثيراً من الإجازات المتراكمة.

يمكنها أن تذهب إلى منزل جديها، لكنها أمضت عطلة نهاية الأسبوع معهما مؤخراً. على أيّ حال، بدا لها اختفاؤها بشكل مفاجىء عملاً جباناً. فقالت: «أنا واثقة من أنه لا يحبني فعلاً. كل ما في الأمر أنه يريد التأكد من حقيقة الأمر لأنه سبق وخطب مرات عدة. أنا واثقة من أنه، وكما قلت أنت، سيتعب في النهاية».

وتساءلت عمّن تراها تحاول أن تُقنع.

ـ ألا تظنين أن عليك أن تخبري أباك؟

فهزت رأسها، وردت: «لا حاجة لأن نقلق جميعاً، وما كنت لأقلقك، لولا أنك...».

فأكملت غريس جملتها: «كنت هنا وشاهدت مدى انزعاجك من ذلك».

ازدادت المودة بين جازلين وغريس. كانت في مكتبها صباح الخميس عندما راحت تفكّر في هولدن هاتاواي. لقد حدث هذا من قبل، إذ كان يتسلل إلى أفكارها من حين إلى آخر.. لكنها اليوم استطاعت أن تفكر فيه دون أن تغضب.

أقرّت بأن تصرفها انسم بشيء من الاندفاع والتهور، واحتاجت ما يقارب الأسبوع لكي تهدأ وتدرك أن هولدن على حق. كانت غريس رقيقة عذبة، وبما أنها تزوجت رجلاً عابثاً وزير نساء وبقيت معه لثلاثين عاماً قبل أن تطلب الطلاق، فهذا يُظهر أنها إما ساذجة، وإما دون كرامة، أو ربما الاثنين معاً. ولو كانت غريس خالتها، أما كانت جازلين، لترغب في التأكد من أيّ علاقة طويلة الأمد، كالزواج مثلاً، ترتبط بها خالتها؟

كانت جازلين تعلم أن غريس من أسرة ثرية. ولم يكن أبوها فقيراً، لكنه لم يكن ثرياً أيضاً. وبدا جلياً لكل من رآهما معاً أنّ غريس وأباها مرتاحان وقانعان ببعضهما إلى أقصى حد. ليس هناك مهرب من حقيقة أن إدوين بالمر الذي تزوج ثلاث مرات، كان على علاقة بكثير من النساء، ولم تكن علاقاته تدوم طويلاً. كانت النساء تحبه، وواضح أن غريس تثق به. لكن جازلين وحدها يمكنها أن تؤكد، لمن يهمه الأمر، أن أباها، رغم حبه للنساء، ليس مخادعاً، ولن يكذب يوماً على امرأة أو يخدعها.

توجهت من مكتبها إلى بيتها ذلك المساء، وقد شعرت بأنها عادت إلى طبيعتها، رغم تخوفها من تلك المكالمة الهاتفية التي كانت واثقة من أنها ستتلقاها، وقد حدث ذلك. وعندما أخرجت الكلب للنزهة، لم تفكّر في توني بل بذلك الرجل الذي اتهمها، يوم الجمعة الماضية، بالاندفاع والتهور.

عادت غريس إلى بيتها صباح يوم الجمعة. ووصلت جازلين من مكتبها ذلك المساء متأخرة بعض الشيء، فسمعت الهاتف يرن. أطعمت الكلب،

آملة أن يتوقف رنين الهاتف، لكن هذا لم يحدث. وخوفاً من أن ينزعج والدها، رفعت السماعة.

قالت بحدة: «نعم».

لم تكن تعرف إلى متى ستحتمل هذا الأمر، فقد تملكها الإرهاق من توني جونستن وأفعاله!

ـ هل أعيد الاتصال في وقت آخر؟

طرح السؤال صوت رقيق لم يكون صوت توني، لكنها عرفته على الفور.

قالت تعتذر على الفور: «آسفة. ظننت المتصل رجلاً آخر. لكن خالتك ليست هنا، لقد عادت إلى بيتها هذا الصباح و.. أنت هولدن، أليس كذلك؟».

ـ أتراك صفحت عني؟

ابتلعت جازلين بريقها، شيء ما في هذا الرجل يؤثر على توازنها أحياناً.

قالت له: «أنا من عليه أن يطلب الصفح. بعد تفكير عميق، أدركت أن غريس لو كانت خالتي، لحاولت أن أعرف المزيد عن الرجل الجديد الذي تريد إقامة علاقة مستمرة معه».

ساد صمت قصير في الناحية الأخرى. ثم تمتم هولدن هاتاواي، بشكل لا إرادي: «يا لك من مخلوقة بديعة!»

أخذ قلبها يخفق بجنون وهي ترى أن صدقها قد أكسبها رأي هولدن الحسن فيها. فهتفت، وهي تعلم أنه يمكن أن يكون قاسياً إذا ساء مزاجه: «هاي.. لا تدع نفسك تنجرف!»

سمعته يضحك فسرّها ضحكته، إلاّ أنها لم تدم إذ عاد يقول باتزان: «أنا لم أتصل لأتحدّث إلى غريس».

فسألته بحدة: «إلى أبي إذن؟».

فأجاب ببطء: «اهدئي، أردت التحدث إليك».

ـ هل اتصلت لتتحدث معي؟ عمّا؟

وأخذ قلبها يخفق.

ـ أحتاج إلى مرافقة تصحبني إلى حفلة عشاء راقصة مساء الغد.

إنه يطلب منها مرافقته إلى حفلة عشاء راقصة. تملّكها الذهول للحظة رغم علمها بأنه ينتظر جوابها، لكنها لم تجد ما تقوله. كانت قد قررت البقاء في البيت حتى أنها رفضت دعوة من محام في شركتها. لكن... هولدن هاتاواي يدعوها للخروج معه؟ هل هذه مفاجأة؟ وعندما لم يسمع جوابها، تابع يقول: «لقد فكرت فيك لأنني أعلم أنك مأمونة الجانب».

مأمونة الجانب! ماذا يعني؟ وسألته: «مأمونة الجانب؟».

لم تفهم ما عناه بكلمته هذه، وعاد يقول: «هل أنا محق إذا ما قلت إنك لا ترغبين في علاقة طويلة الأمد؟».

ما زالت جازلين لا تفهم ما يقصده، لكنها لم تجد ضرراً في أن تجيبه: «بكل تأكيد».

ـ هذا حسن.

وبدا عليه الارتياح! فشعرت بشيء من الاستياء. لماذا تريد فتاة في الثانية والعشرين من عمرها أن تُنعت (بالمأمونة الجانب؟)

وتابع يقول: «أنا مرغم على المشاركة في هذه المناسبة الاجتماعية، وستحضرها امرأة أريدها أن تراني مشغولاً بغيرها».

مأمونة الجانب؟ لماذا تشعر بهذا النكد؟

ـ أتريد أن تثير غيرتها؟

ـ بل على العكس، في الواقع.

بدا واضحاً أنّ هذه المرأة تلاحقه، فقالت بجفاء: «ظننت أنّ بإمكانك التخلص من ملاحقة أيّ امرأة».

ـ صححي كلامي إذا كنت مخطئاً. إن الرجل الذي راح يحوم حولك يوم الجمعة الماضية، يرجو نظرة منك، هو توني الذي قلت له (لقد استمتعت

بصحبتك يا توني، لكنني لن أخرج معك مرة أخرى).

إنه حقير حقاً!

قالت موافقة: «أنت على حق».

ثم أدركت أنه يواجه مشكلة مماثلة لمشكلتها هي. وسألها بلباقة: «وهكذا، لكي تنقذيني من قبضة النساء، ولكي أتأكد من أنك صفحت عني، هلاّ رافقتني مساء الغد؟»..

قالت: «إن جاذبيتك قادرة على إغراق سفينة حربية!».

اعترفت بذلك بعد أن تنبّهت إلى أن وجوده مساء الجمعة الماضية أنقذها من توني، وشعرت بأن عليها أن تمتثل لما يريده. فتابعت تقول: «لكن لدي سؤال... هذه السيدة التي تريد التخلص منها، هل قلبها غارق في الحب؟».

ـ ما أرق قلبك! لكنني أؤكد لك أن اهتمامها بي لا يتعدّى محفظتي.

ـ لا يبدو عليك الاكتراث.

ـ أنا مثلك، نادراً ما أخرج دون حذاء الركض.

ـ هل ستأتي لتأخذني أم ألاقيك في مكان ما؟

سؤالها هذا كان يتضمن قبولها الدعوة.

فأجابها: «سآتي لاصطحابك عند الساعة السابعة».

كانت واثقة من أنه ابتسم لموافقتها، ووجدت نفسها تبتسم أيضاً. لكن سرورها لم يدم لمدة طويلة، فما أن وضعت السماعة حتى رن الهاتف ثانيةً، وكان المتصل توني. تخلصت منه ثم أخذت الكلب للنزهة وهي تتساءل عما إذا كان هولدن يتلقّى مثل هذا الاتصال اليومي.

أمضت مع الكلب بعض الوقت، وفي طريق العودة شعرت بالسرور لتحسن حالتها النفسية. كانت أفكارها مركزة على هولدن أكثر منها على توني، وتكهنت بأن الحفلة تتعلق بالعمل، لأنه قال إنه مرغم على حضورها. لكن ماذا ستلبس؟

لم يسبق لجازلين أن اهتمت بمظهرها كما تفعل الآن. لكنها عندما راحت تستعد في مساء اليوم التالي، كانت واثقة من أن الفتيات الأخريات في الحفلة سيكنّ أنيقات للغاية. أرادت أن تبدو في أبهى حلتها. تنورتها الطويلة المخملية، السوداء اللون، كانت بسيطة لكنها أبرزت خصرها النحيل وجسدها الرائع بشكل يثير الإعجاب. بلوزتها المطرزة كشفت بشرة عنقها البلورية الشفافة. وزيّنت عنقها بعقد من اللؤلؤ أهداها إياه والدها في عيد ميلادها الثامن عشر. ثم مشّطت شعرها الأشقر ورفعته على قمة رأسها.

كانت قد أعلمت أباها باتصال هولدن، وأوضحت له بأنها لن تخرج معه في موعد عادي، وإنما طلب منها هولدن مرافقته إلى حفلة مفاجئة. لم تخبر أباها بمشاكلها مع توني، فوجدت من غير المناسب أن تخبره عن مشكلة هولدن.

سألت أباها عندما نزلت إلى غرفة الجلوس: «هل مظهري مناسب؟».

ثم أضافت بسرعة عندما همّ الكلب بالقفز عليها: «ابتعد يا ريمي!» ورغم حبها له، لم تتصور شعر الكلب على ثيابها المخملية السوداء.

أمسك أبوها بطوق الكلب يبعده عنها وهو يبتسم قائلاً: «أنت رائعة. وأنا محظوظ جداً لأني أب لابنة جمالها الداخلي يماثل جمالها الخارجي».

فقالت بنعومة: «آه، يا أبي، ما أجمل ما تقوله».

ـ وهو صحيح.

وكان أبوها نادراً ما يذكر أمها لكنه تابع يقول: «هكذا كانت أمك».

وسكت لحظة ثم أضاف: «وكذلك غريس».

وأدركت جازلين أن أمها وغريس هما أحب النساء لديه.

قالت له عندما سمعا صوت سيارة تتوقف: «أتمنى لك السعادة».

ـ وهذا ما أتمناه لك. أخبري هولدن بأنني لن أخرج لتحيّته لأنني مشغول بالإمساك بالكلب.

فضحكت، وردت: «إلى اللقاء».

وشعرت فجأة بنبضات قلبها تتسارع عندما خرجت إلى الردهة؛ وبما أنه لم يكن هناك من يراها، وقفت وأخذت نفساً عميقاً مرات عدة.

رن جرس الباب، فتماسكت، ثم توجهت نحوه تفتحه، شاعرة بشيء من القلق، متسائلة عما إذا بالغت في التأنق، لكنها عندما رأت أناقة هولدن ببذلة السهرة والقميص المنشّى الناصع البياض، شعرت بأنها أحسنت الاختيار.

حدقت فيه متأملة، وقد بدا لها رجلاً قديراً واثقاً من نفسه. ثم أدركت فجأة أنه يحدّق فيها حين تمتم برقة: «مذهلة، تبدين مذهلة للغاية».

سألته بشيء من التوتر: «ألن... ألن تخجل بي أمام الناس؟».

ـ جازلين بالمر، أنت رائعة.

وابتسم، فأذهلها ظرفه.

لكنها سرعان ما تمالكت نفسها وقالت ضاحكة: «أفهم من هذا أن جوابك هو (لا). لن يستطيع أبي الخروج لتحيتك لأنه يمسك بالكلب».

ـ أنا مسرور لسماع هذا.

ضحكا معاً. وفي طريقهما إلى السيارة، حدثته عن الكلب المحبوب ذي الوبر الطويل، وعن سبب عدم دعوته إلى الدخول ليسلم على أبيها.

وعندما اتجه هولدن بسيارته نحو الطريق، خطر في بال جازلين أنه ربما يظن أن خالته عندهم، وربما أراد أن يحييها، فقالت له بسرعة: «غريس ليست عندنا في عطلة نهاية الأسبوع هذه».

ـ سيزورها أبوك فيما بعد.

ـ هل تعلم كل شيء؟

ابتسم لها وأجاب: «يبدو أن الشقيقتين لا تكتمان الأسرار عن بعضهما».

ـ اتصلت بأمك مرة أخرى.

وظنت أنها أساءت إليه بتلك الملاحظة، لكن ابتسامته الخفيفة

استحالت فجأة إلى ابتسامة عريضة آسرة.

ـ بل أمي هي التي اتصلت بي.

أرادت، دون شك، أن تعرف رأيه في صديق أختها الفنان. وشعرت جازلين بأنّ عليها أن تطمئنه.

ـ حاول ألا تقلق كثيراً على غريس.

فتلاشت ابتسامته، مما لا يشكّل مؤشراً حسناً. وتملّكها الخوف من أن تكون قد استعجلت الأمور، فلم يكن أمامها إلاّ أن تتابع قائلة: «أبي معجب جداً بخالتك غريس».

ـ هل أخبرك هذا بنفسه؟

أترى المرح قد تبدد من صوته؟ رباه، وتمنت لو أنها لم تتكلم. ما أحسن هذه البداية للسهرة، وأجابت بجمود: «ليس بالكلمات».

ـ وكيف عرفت إذن؟

انبرت تقول: «أعرف هذا وحسب».

ما شأن هذا الرجل؟ وأغاظها أكثر أنها شعرت بأنها مرغمة على مواصلة الحديث: «إذا كان لا بد لك أن تعلم، تكلّم أبي عن جمال النفس، فقال إن أمي تحلّت بجمال النفس، ثم أضاف أن غريس جميلة النفس هي أيضاً».

ـ إنه فنان.. يمكنه أن يرى باطن الأمور أكثر من غيره، كما أتصور.

ـ أبي لا يكذب.. إنه مخلص جداً.

وانقطعت أنفاسها حين قال: «وزواجه ثلاث مرات برهان على ذلك».

انفجرت غاضبة: «أيها الحقير!»

ودّت أن تطلب منه العودة إلى البيت، لكنه تمتم قائلاً: «هل قلت لك من قبل إنك مندفعة ومتهورة؟».

لم تعرف كيف تتعامل مع هذا الرجل، ولم تجد سوى الضحك.

فسألها كأنه أحس بأنها على وشك أن تطلب منه أن يذهب إلى حفلته وحده: «لن تتخلي عني إذن».

ـ أنت تقرأ الأفكار!

فضحك.

لم يأتيا على ذكر أبيها أو خالته مرة أخرى أثناء الرحلة. وعادت إليهما روح الفكاهة والدعابة وهما يدخلان أجمل ما رأته من الفنادق.

قبل وصولهما إلى الفندق، كانت جازلين قد اعترفت لنفسها بأنها تشعر بالتوتر. أما الآن، وهي غير واثقة مما إذا كان توترها بسببه أم بسبب الحفلة، اكتشفت أن هذا الشعور بدأ يتبدد.

بدا أن هولدن يتمتع بشعبية واسعة لكثرة الذين جاؤوا يحيّونه ويتعرفون إلى مرافقته. وحرص هو على إرضائها، فأدركت جازلين أنه يحاول أن يُظهر الأمر وكأنها صديقته الدائمة. وتكهنت بأن المرأة التي يريد أن يتجنبها، والتي تربطه بها علاقة العمل على الأرجح، إذ لم يشأ أن يجرح مشاعرها، ستظن ذلك أيضاً.

لكن، بالرغم من علم الجميع بأنها برفقته، بقي بعض الرجال في الحفلة قربها. وعندما جلسوا إلى مائدة العشاء، لم يمنع جلوس هولدن إلى جانبها، الرجل الجالس من الناحية الأخرى من أن يتحدث إليها بشكل متواصل. وفي إحدى المرات، مال هولدن على أذنها هامساً: «هل يزعجك بريان فوكس؟».

ابتسمت لاهتمامه.. ولكن كيف يمكنه معالجة هذا الأمر وهم جميعاً جلوس بهذا الشكل. هذا ما لا تعرفه، كل ما تعرفه هو أنه يريد أن يساعدها، لكن اهتمامه لم يكن ضرورياً.

أجابت بصدق: «الحديث معه ممتع جداً».

ثم، وبصراحتها المعتادة أضافت، وهي تكتم ضحكتها: «لا أظنك تشعر بالإهمال، أليس كذلك؟».

ضحك لدعابتها الوقحة، ثم حوّل اهتمامه إلى المرأة الأنيقة الجالسة بجانبه من الناحية الأخرى. هكذا إذن! لكنها لم تشعر أن كرامتها قد

جرحت فهي من تسبب لنفسها بذلك. أدارت كتفها لهولدن وأشاحت بوجهها ثم مالت إلى الأمام حين وجّه الرجل الجالس أمامها الحديث إليها.

كان الطعام لذيذاً للغاية. لكن حتى موعد تقديم القهوة، لم تكن جازلين قد تبينت بعد المرأة المنجذبة إلى محفظة نقود هولدن. لقد لاحظت أن كل امرأة في الحفلة نظرت إليه أكثر من مرة.. وأنّ النساء كن يصغين إلى كل كلمة يقولها، لكنها لم تر امرأة ملهوفة جداً. إنما هؤلاء النسوة محنكات.. ولعلهن لا يظهرن لهفتهن.

عزفت الموسيقى. ورأت شاباً يترك مقعده ويتوجه نحوها، لكن هولدن حوّل انتباهها إليه، قائلاً: «حفاظاً على المظاهر، أظن أن رقصتك الأولى يجب أن تكون معي».

افترضت جازلين أنه على صواب، دون أن تطيل التفكير في الأمر. همت بالوقوف وهولدن يبعد لها الكرسي فيما وصل ذلك الشاب إليهما وهو يقول متذمراً وعيناه على جازلين: «كنت على وشك أن أطلب منك مراقصتي».

قال هولدن قبل أن تتمكن هي من الرد: «آسف، يا لوين. جاء توقيتك متأخراً».

فقال هذا الأخير: «سأعود».

ـ يسرني الرقص معك فيما بعد.

شعرت جازلين بالأسف من أجل السيد لوين الذي دار حول المائدة ليتلقّى هذا الاستقبال. وفكرت في أنها تتصرف بقلة أدب إذ ما مرت قربه دون أيّ كلمة.

كانت مع هولدن على حلبة الرقص وذراعه حولها عندما قال: «لا عجب في أن تلقي صعوبة في التخلص من رجالك».

نظرت إليه بدهشة فرأته يتأملها بثبات. سألته وقد بان القلق في عينيها البنفسجيتين الجميلتين: «أتراني أشجعهم أكثر مما ينبغي؟».

فحدق فيها، وقال برقة وهو يضمها إليه وعيناه في عينيها: «جازلين..

يا جازلين!»

أخذ قلبها يخفق فجأة، وانفرجت شفتاها وهي ترى بريقاً دافئاً في عينيه.. عيناه اللتان أخذتا تتفحصان وجهها ثم انتقلتا إلى عنقها.

بعد ذلك، عاد ورفع عينيه إلى عينيها البنفسجيتين.

أشاح بنظره عنها، فيما انتقل بها إلى مكان أقل ازدحاماً، ثم عاد ينظر إليها تلك النظرة المتأملة نفسها، فعلمت أن النظرة الدافئة فيهما كانت محض خيال. قال لها ممازحاً: «لستِ بحاجة إلى تشجيع الرجال، فأكثرهم يتسابق للوقوف قربك ولرؤيتك فقط».

أكثر الرجال، ما عداك أنت.. وجدت نفسها تفكر في ذلك وصممت على ألاّ تخرج معه مرة أخرى. وعندما أدركت فجأة المنحى التي اتخذته أفكارها، طردتها من ذهنها. رباه.. هذا ليس موعداً حقيقياً! ولا تريده أن يكون كذلك! لا تريد أن يتسابق هولدن مع الآخرين ليقف قربها. لكنها لا تريد أيضاً أن تخرج معه مرة أخرى.. حتى وإن طلب منها ذلك.. وهذا ما لن يفعله. يكفيها ما لديها من مشاكل مع أمثال توني جونستن، ولن تزيدها بالخروج مجدداً مع رجل طويل أسمر محنّك مثل هولدن هاتاواي!

قال لها: «شكراً».

فنظرت إليه، لقد توقفت الموسيقى.

أجابته: «انتهى الواجب».

لكن عندما عادا إلى مائدتهما، لم تعد ذراعه تحيط بكتفها كما تركت يده اليسرى يدها. عند ذلك فقط، استطاعت أن تنكر أن خفقات قلبها تجاوزت حدها الطبيعي عندما كان يمسك بها أثناء الرقص.

الرجل الذي خاطبه هولدن باسم لوين طلب منها أن ترقص معه، وكذلك فعل عدد من الرجال الآخرين في الحفلة. رأت جازلين هولدن يراقص امرأة أو اثنتين، لكنه لم يطلب منها أن ترقص معه مرة أخرى. وراحت تقنع نفسها بأن هذا الأمر يسرّها.

قال لها هولدن بعد الرقصة الثالثة مع باول لوين: «أظن أن علينا أن نرحل الآن إلاّ إذا كنت ترغبين في البقاء».

أجابته موافقة: «كما تريد».

بعد أن ودّعا أصحاب الحفلة وخرجا إلى حيث سيارتهما، قال: «لقد استمتعت بصحبتك».

فأجابت ببساطة: «وأنا استمتعت بصحبتك، كما كان الطعام لذيذاً. أليس كذلك؟».

ـ وطبعاً طلب منك لوين رقم هاتفك.

ـ طبعاً.

كانا في السيارة على بعد خمس دقائق من الفندق، عندما سألها هولدن بلهجة عفوية: «وهل أعطيته إياه؟».

كان بإمكانها أن تدّعي عدم الفهم، لكنها فهمت عليه على الفور، وأجابته: «لم أكن واثقة من مدى جدّية علاقتنا المزعومة أمام الناس».

وعلمت أن هولدن سيفهم من كلامها أنها لم تعطه رقم هاتفها.

ـ وهل أردت إعطاءه الرقم؟

هزت رأسها، ثم أدركت أن هولدن يركّز اهتمامه على الطريق أمامه، ولم يرَ حركتها النافية، فقالت وهي تضحك مرحاً: «لا. أريد أن أنتهي من مشاكلي الحالية قبل أن أخرج مع أحدهم مجدداً».

ـ مع ريكس؟

ـ ريكس ألفورد ليس المشكلة، فهو ليس جدياً مثلي. خرجت معه مرتين، وهو رجل مسلٍّ. ولكن... أيّ من السيدات... تلك التي تحاول أن..؟

ـ أعرف أنني غير منصف، ولكن اطلاعك على هويتها أمر يتنافى مع أخلاقيات الرجل المهذب.

ـ هذا ليس عدلاً، فأنت تعرف تفاصيل حياتي الغرامية.

وراح يستجوبها: «أشك في ذلك، هل كنت تتوقعين اتصالاً من توني عندما اتصلت بك الليلة الماضية؟».

ـ قلت له مراراً وتكراراً إنني لا أهتم لأمره، لكنه لا ينفك يتصل بي كل ليلة.

ـ ألم يفهم بعد؟

ـ لا، على ما يبدو.

ـ وما رأي أبيك في هذه الاتصالات غير المرغوب فيها، ليلياً؟

ـ لم أخبره!

ـ ألا تظنين أنه عليك أن تفعلي ذلك؟

ـ لا أظنه سيصر لمدة طويلة. لقد خطب توني جونستن مرات عدة لذا أظنه متقلباً نوعاً ما. أنا واثقة من أنه سيتعب قريباً، الأمر مزعج الآن، هذا كل ما في الأمر. إن غريس على علم بالموضوع و...

ـ هل أخبرتها؟

ـ لم أشأ أن أقلقها. كل ما في الأمر أنها كانت موجودة عدة مرات حين اتصل توني.

وسكتت جازلين لحظة، ثم أضافت بهدوء: «يسرني أن أتمكّن من التحدث عن مشاكلي معها».

قال هولدن بلطف: «أنا مسرور لذلك».

وعلمت أنه غير مستاء من أجل خالته، وتابع قائلاً: «أعتقد أن أمك توفيت عندما كنت صغيرة؟».

ـ كنت في الخامسة من عمري، وكنت أقضي الليل مع جديّ عندما تعرّض أبواي لحادث سير، ما كان ينبغي أن يحدث قط.

وتذكرت أنها كانت على وشك إنهاء السهرة قبل أن تبدأ، حين شعرت بأن هولدن يحسّ بعدم الرضا نحو أبيها. فترددت في أن تخبره عما اعتاد جداها أن يقولاه، وهو أن موت أمها أثّر على أبيها وتركه في حالة من الذهول

والصدمة لشهور. وعندما استفاق أخيراً من صدمته، بدا وكأن شخصيته قد تغيرت، إذ أصبح شعاره في الحياة: «عش ليومك ودعك الغد للغد».

لكنها وجدت نفسها تقول: «لقد تغير أبي بعد ذلك».

بدأت جازلين حديثها بهذه الكلمات دون أن تعرف السبب. هي التي اعتادت أن تكون صريحة صادقة، لا تدري لما عليها أن تحاذر الآن في كلامها: «حسب كلام جديّ، أرسلته صدمة فقدان حبيبته كاترين إلى عالم مجهول لا يصل إليه أحد. وحوّلته من رجل حاكم محب لبيته، إلى رجل يتبنى شعار «عش ليومك». ولكن لماذا أخبرك بكل هذا؟».

طرحت سؤالها هذا فجأة. فأجاب ببطء: «من باب التحدي».

ولم تجد جازلين رداً سوى أن تبتسم. وشعرت، لسبب تجهله، أن بإمكانها أن تجعل من هذا الرجل الصريح المستقيم صديقاً لها.

ـ إذن، عليّ أن أقفل فمي.. لكن.. لكن..

وترددت، فسألها: «أتراك تخجلين مني؟».

ـ لن يخطر هذا في بالي. كنت أفكر فقط في مدى رغبتك في حماية خالتك، وفي أنك تود أن تعرف أن أبي يكره رسم الأشخاص.

فأجاب برزانة: «سأتذكر ذلك».

ألقت جازلين عليه نظرة ساخطة، لكنها تابعت بعد لحظة: «وهكذا يمكنك أن تستنتج ما تريد. رسمني أبي مرات عدة على مرّ السنين، والصور الشخصية الأخرى التي رسمها كانت لأمي ولخالتك».

ـ هل تعنين بذلك أن لخالتي مكانة خاصة عند أبيك؟

فردت بازدراء، شاعرة بتوتر بينهما: «وهل أجرؤ على ذلك؟».

وشعرت فجأة برغبة في مناكدته، فسألته: «أرجو ألاّ تكون قد جرحت مشاعرها؟».

ـ خالتي؟

فردّت بعذوبة ساخرة: «بل المرأة التي كنت أحميك منها هذه الليلة».

وكادت تضربه عندما تحوّل مزاجه من البرودة إلى الهزل.

ـ هل قلت لك.. إنك رائعة جداً؟

لم تشأ أن يمدحها لأنها كانت تعلم أن هذا مجرد ظرف لا يعني به شيئاً. لكنها لم تستطع مقاومة الابتسام في داخلها، وحوّلت نظراتها عنه إلى العشب الممتد على جانبي الطريق.

وعندما سلكت السيارة طريق البيت، بدا وكأن العداء بينهما قد تبخّر. أوقف السيارة ثم سار معها إلى الباب وأخذ منها المفتاح ليضعه في القفل. قال: «شكراً لك، استمتعت برفقتك للغاية».

فقالت له بوجه مشرق: «لقد استمتعت جداً».

وأخذ قلبها يخفق حين رأت وجهه يقترب منها. أدركت أنه سيقبلها! وقد قبّلها فعلاً.. على خدّها. قبلة دافئة حساسة سريعة وكأنه يقبل عمته العانس.

قال لها بلهجة عادية: «تصبحين على خير يا جازلين». وفتح الباب، فدخلت وهي تقول: «تصبح على خير».

ثم أغلقت الباب. لن تخرج معه مرة أخرى أبداً! ولم تهدأ دقات قلبها المتسارعة! لن تخرج معه أبداً. عمته العانس.. حقاً؟ ولاقاها ريمي يضرب ساقيها بذيله.. غير مكترث بالمخمل الأسود.

قالت له: «كان عليك أن تنبح أولاً». لكنها لم تهتم هي أيضاً للمخمل الأسود وانحنت تحتضنه، ثم توجهت إلى غرفتها لتنام. وفي الصباح، تملكتها الحيرة لما شعرت به الليلة الماضية من استياء.

ما هذا؟ لاعترضت حتماً لو قبّلها بطريقة أخرى، إنها مجرد تخيلات. أما بالنسبة للخروج معه مجدداً، فهذا غير محتمل لأنه لن يطلب منها ذلك. إلا إذا احتاج إلى الحماية مجدداً! ضحكت وقد عاد إليها حسّ الفكاهة، وأمضت فترة طويلة من صباح الأحد في انتزاع شعر الكلب عن ثوبها.

حسّ الفكاهة لديها خمد قليلاً عندما اتصل توني مساءً. وكان ذلك متعباً

مملاً مكدراً حتى تمنت لو أنها لم تخرج معه منذ البداية.

يوم الثلاثاء، وبعد أن اتصل في الليلة الماضية، لم يعد لدى جازلين ما تقوله. لم تشأ أن تجرح شعوره ولا أن تطلب من أبيها أن يتحدث إليه، لكنها كانت تشعر بالإرهاق فعلاً.

اتصل توني مجدداً يوم الأربعاء، ورفض أن يستمع إليها حين طلبت منه أن يتوقف عن الإتصال بها. لكن، وفيما كانت تتناول الطعام مع أبيها، أدركت أنها لن تتمكن من الاستمرار بهذه الطريقة. فقد راحت تضطرب كلما رن جرس الهاتف. عليها أن تخبر أباها رغم عدم رغبتها في ذلك، وأن تطلب منه المساعدة.

ـ أبي...

شرعت تتكلم ببطء.. لكنه قاطعها قائلاً: «اتصلت غريس اليوم».

ـ أخبرني أنت أولاً.

ـ تحدّثت مع غريس اليوم.

وتابع يقول: «بما أن الجوّ سيستمر جيداً، تفكر غريس في تمضية أسبوعين في هامبشاير».

هتفت جازلين بدهشة: «من دونك؟».

فضحك وأجاب: «كم أنت ذكية، سننطلق يوم السبت».

فتحت فمها مدهوشة، فنادراً ما يأخذ أبوها إجازة.

ـ ستمضيان وقتاً ممتعاً. هل حجزتما في فندق؟

ـ لن نقيم في فندق. لقد استعارت منزلاً جميلاً للغاية، قصدته من قبل. ويبدو أن فيه مجالاً لشخص آخر.

فحملقت جازلين فيه، وسألته: «أتريدني أن آتي معكما؟».

ـ قلت لغريس إنني سأعلمها الرسم التخطيطي. فكرت... في أنك قد ترغبين في العناية بريمي أثناء غيابنا، أنا وغريس، لرسم مناظر بحرية لساعات.

لساعات؟ يفقد أبوها إحساسه بالوقت حين يرسم.

وسمعته يضيف: «وجودك سيعفيني من القلق عليه عندما لا أكون منتبهاً. كما أريدك أن تستمتعي معنا، إذا أمكنك الحصول على إجازة من العمل. غريس تود كثيراً أن ترافقينا».

سألته مترددة: «هل أنت واثق من ذلك؟».

فأجاب: «طبعاً».

ـ هل قلت لأسبوعين؟

ـ أقل من ذلك لا يستحق العناء.

وتخيلت جازلين فجأة توني وهو يتصل ليلياً أثناء غياب أبيها. قد تتمكن من مواجهة هذه المشكلة لوجود أبيها في البيت. أما في غيابه... أدركت أنها لن تستطيع أن تخبره الآن وهو يستعد للسفر، إذ ستشغل باله عليها، وهذا ليس إنصافاً. فهل يكون جبناً منها أن تغادر البيت هي أيضاً؟ لا بد أن توني سيشعر بالضجر إذا لم يجب أحد على اتصالاته طوال أسبوعين.

أسبوعان كاملان رائعان من دون اتصالات هاتفية.

وقال أبوها مازحاً: «هل التفكير في الأمر يستغرق كل هذا الوقت؟».

ـ هل أنت واثق من أنكما تريدانني معكما؟

أرادت جازلين التأكد من ذلك بعد أن بدا لها عرض أبيها السخي كحبل نجاة.

ـ لا تكوني سخيفة. كما لا يمكنني ترك الكلب هنا وحده طوال النهار أثناء وجودك في العمل. ولن يكون سعيداً في مأوى الكلاب.

عرف أبوها كيف يتغلب على ترددها حين هددها بمأوى الكلاب، رغم أنها لم تكن تحتاج إلى ذلك لكي تقبل. قالت: «حسناً، لا بأس. سأرى إن كان بإمكاني الحصول على إجازة من أجل ريمي».

انزعج رئيس جازلين المباشر حين طلبت إجازة أسبوعين بمثل هذه السرعة. لكن حين قالت له إنه محق وإنها لن تذهب إذا كان يفضل ذلك،

وافق على منحها الإجازة على الفور، قائلاً ببشاشة: «بل اذهبي، عليّ أن أتحلى بالصبر كلما غبتِ... رغم أنني لا أعرف كيف سأتدبر أمري من دونك».

واعتبرت هذا مديحاً لها، فقالت باسمة: «أنا واثقة من أنك ستتخطى المحنة».

وراحت تفكر في أنّ كل ما عليها فعله هو أن تتحمل اتصالين آخرين من توني، وبعد ذلك ترحل.

حلّ نهار السبت مشرقاً وصحواً كما تنبأت الأرصاد الجوية. وكانت قد تشاورت مع أبيها بشأن الذهاب بسيارة أو باثنتين، فاتفقا على أن سيارته تتسع لهم وللكلب وسلته فضلاً عن أمتعتهم. وهكذا اختاروا الاكتفاء بسيارة واحدة.

وصلت غريس إلى منزل آل بالمر في الليلة السابقة. فانطلقوا باكراً في اليوم التالي. غريس وإدوين بالمر في المقعد الأمامي، وجازلين والكلب في المقعد الخلفي. وكلما ابتعدت السيارة بجازلين عن بيتها، كلما زاد ارتياحها. وحين وصلوا إلى هامبشاير غمرها شعور بالسعادة. وعند ذلك أدركت مدى التوتر الذي كان يتملكها.

تصورت «ساندبنكس» كوخاً صغيراً لقضاء الإجازات. لكن عندما اقتربوا منه، ورأوا ذلك المنزل المهيب بطوابقه الثلاثة، غيرت رأيها بسرعة. حين قال لها أبوها إن هناك مكاناً لشخص آخر، ظنت أن المنزل صغير ونادراً ما يُستعمل. لكنه في الحقيقة يستوعب أكثر منهم، هم الثلاثة، والكلب، ويُستعمل لأكثر من مجرد الإجازات، إذ تقيم فيه مدبرة منزل. وبدا واضحاً أن أصدقاء غريس من نفس طبقتها الغنية.

لاقتهم مدبرة المنزل وهم يحطون رحالهم، وأدركت جازلين حين توجهت المرأة نحو غريس مباشرة، أن هذه الأخيرة لم تكن غريبة عن البيت. وتأكد ذلك عندما قدمت غريس المرأة إليهما باسم السيدة ويليامز.

دخل الأربعة إلى المنزل، وبالرغم من أن غريس كانت تعرف المنزل، إلا أنها انتظرت حتى أعلمتهم السيدة ويليامز بأن غرفهم جاهزة كي تصعد معهما إلى الطابق العلوي لتريهما إياها.

ـ هذه غرفتك، يا جازلين.

وابتسمت وهي تفتح باب أجمل غرفة رأتها جازلين.

هتفت بصدق، وهي تتوجه إلى النافذة المطلة على ممر يقود إلى الشاطىء: «ما أجملها».

ثم أضافت مسرورة: «إنها تطل على البحر».

قالت غريس: «ظننت أنها قد تعجبك».

فتوجهت نحوها جازلين تعانقها.

بعد ذهاب غريس، أفرغت جازلين أمتعتها بسرعة، ثم أخذت ريمي الكلب وخرجت لتستكشف الشاطىء وما حوله. كان قسم من الشاطىء يخص «ساندبنكس» نفسه، وتكثر عليه الكثبان الرملية. إنه مكان رائع لقضاء عطلة ممتازة.

ذكرت السيدة ويليامز أن الطعام جاهز، فعادت مع ريمي إلى البيت بعد فترة قصيرة، مصممة على إكمال الرحلة في اليوم التالي.

وتلك الليلة نامت بشكل أفضل مما اعتادت عليه منذ مدة طويلة، ثم استيقظت في الصباح صافية الذهن خالية البال دون أن تفكر في توني جونستن. أما لماذا خطر في بالها هولدن هاتاواي، فهذا ما لم تعرفه. لكنها كانت تعلم أنها ليست المرة الأولى التي تفكر فيه.

عادت تفكر في هولدن هاتاواي عندما خرج أبوها وغريس للرسم، وذهبت هي مع ريمي إلى الشاطىء. افترضت أن السبب هو قدرته الغريبة على جعلها تضحك وتبتسم في الأوقات غير المتوقعة. واعترفت بأنها تشعر نحوه بمودة فائقة، رغم أنه قادر على إغضابها أكثر من أي شخص آخر.

هتفت وهي ترى غريس وأباها في البيت: «هل عدتما؟».

أجابها أبوها: «كان الجو حاراً. وقد نسيت غريس أن تحمل معها قبعة القش».

لم يبدُ عليه أي ضيق لتخليه عن خطته الصباحية، وإنما على العكس، بدا أكثر حناناً وتساهلاً من أي وقت مضى.

كانت غريس قد أعلمت مدبرة المنزل بأن بعض الشطائر ستكفي للغداء ما دامت تعد الروستو للعشاء.

بعد ذلك الغداء الخفيف، أشار إدوين بالمر إلى أنه سيأخذ قيلولة قصيرة، فعلّقت غريس تغيظه أنّ عليه أن يخجل من نفسه، ثم أضافت أنها تفكر في الخروج للتمشي. فسألتها جازلين: «هل تحتاجين لمن يرافقك؟».

فأجابت باسمة: «أتمنى ذلك».

بعد ذلك بفترة قصيرة، وضعت الطوق لريمي، ثم خرجتا لتتمشيا في القرية الجميلة.

قالت جازلين وهما تسيران في ظلال الأشجار الوارفة: «إنه مكان جميل جداً».

فسألتها غريس: «هل تشعرين بأنك أقل توتراً الآن؟».

ـ وهل يبدو عليّ ذلك؟

ـ بعض الشيء.

ـ أشعر وكأن حملاً قد أزيل عن كاهلي.

ـ هذا حسن، لكن إذا ما عاد الهاتف إلى الرنين بعد عودتك، عديني بأن تخبري أباك كي يعالج الموضوع. إنه أقوى مما تظنين.

فردت جازلين: «أعدك... بذلك».

نعم أصبح أبوها أقوى الآن، وتلك القوة تُظهر أنه أصبح لديه هدف في الحياة، وذلك منذ دخلت غريس حياته.

قامتا بجولة في القرية، ومرتا ببعض المساكن قبل أن تسلكا الطريق المؤدي إلى «ساندبنكس». وفجأة، انفتح باب أحد المنازل وخرج منه رجل

في قرابة الثلاثين من عمره، حاملاً بيده ما يشبه حقيبة الطبيب، وسار في ممر الحديقة.

حيّا الرجل غريس بسرور ظاهر، رغم أن نظراته تركزت على جازلين: «سيدة كرادوك؟».

وابتسمت غريس، قائلة: «دايڤيد، يسرّني أن أراك».

ـ كيف حال كاحلك؟

ـ شفي تماماً.

ثم أضافت غريس وهي تلتفت إلى جازلين موضحة: «جاء دايڤيد إلى «ساندبنكس» عندما التوى كاحلي منذ حوالى السنة».

وعندما همّ الرجل بالذهاب قدمته إليها: «أعرّفك على الدكتور «موسغروف»».

فابتسم لجازلين، وقال: «دايڤيد من فضلك».

وعندما مدّ الرجل يده مصافحاً، قالت غريس: «وهذه الآنسة جازلين بالمر».

ـ هل تقيمين أيضاً في «ساندبنكس»؟

أجابت غريس عن جازلين بمودة: «لقد وصلنا أمس».

ـ أرجو ألا يكون لقضاء عطلة الأسبوع فقط؟

فقالت غريس: «جئنا لقضاء أسبوعين رائعين في هذا الجو البديع».

ـ سأراكما مرة أخرى إذن.

بدا التململ على ريمي وأخذ يشدّ على قيده، فابتسمت جازلين للطبيب تودّعه، ثم استأنفت السير مع غريس.

وصلا إلى طريق البيت عندما قالت غريس فجأة: «أنت تعلمين (طبعاً) أن الدكتور دايڤيد موسغروف سيدعوك للخروج معه؟».

نظرت جازلين إليها مجفلة، وأجابت: «لا.. لا أعلم».

لم تكن واثقة مما إذا كانت سترضى بالخروج مع أحد الآن.. وما الذي

جعلها تفكر في هولدن في هذه اللحظة؟

طردته من ذهنها وتابعت تقول: «لكن إذا دعاني...».

فقالت غريس بهدوء: «ستكونين على ما يرام معه، يا جازلين».

لم يكن لدى جازلين فكرة عما إذا كانت غريس على صواب في تكهنها أم لا. لكنها أخذت تفكر في الأمر جدياً، في صباح اليوم التالي، وهي تجفف شعرها في حمام غرفتها.

إنها إجازة غريس وأبيها أيضاً. ومع أنها مقتنعة بأن وجودها هنا ليس لرعاية الكلب وحسب، إلا أنها لم تشأ أن تتطفل عليهما. فهي تعي أن أباها وغريس قد يريدان البقاء وحيدين في الأمسيات. وبما أنهما سيعترضان على بقائها كل ليلة في غرفتها لتشاهد التلفزيون، لعله من الأفضل أن تقبل بدعوة للسهر خارج المنزل.

ثم، ألا يفيدها الخروج مع رجل جديد؟ فقد يبعد ذلك توني جونستن عن تفكيرها، كما سيمنحها شيئاً آخر تفكر فيه بدلاً من ذلك الرجل الذي لا ينفك يشغل بالها... هولدن هاتاواي.

أبعدت جازلين هولدن هاتاواي عن ذهنها ونزلت السلم وهي تضحك بصمت. ها هي تضع الخطط وتفكر في مسألة الخروج مع دايڤيد موسغروف في حين أنه لم يتصل بها بعد.

لكنه اتصل بعد الفطور مباشرة. رن جرس الهاتف فتوجهت غريس نحوه لتجيب، ثم قالت لها بابتسامة ذات معنى: «إنه لك».

وناولت جازلين السماعة.

بما أن دايڤيد هو الشخص الوحيد، باستثناء رئيسها، الذي يعرف الرقم، فقد تكهنت بأنه هو. وسألت: «آلو؟».

ـ آلو جازلين. معك دايڤيد موسغروف.

ـ مرحباً دايڤيد.

عند ذلك انسحبت غريس مع إدوين بالمر.

ـ لم أسأل في الأمس عما إذا كنت أنت والسيدة كرادوك وحيدتين في هذه الإجازة.

ـ نحن هنا مع أبي، في الواقع.

ـ أنتما الثلاثة فقط؟

ـ هذا صحيح، إنه مكان جميل، أليس كذلك؟

ـ إذا أردت أن تري المزيد، يسرّني أن أجول بك في الأنحاء.

ـ أنا...

لماذا تتردد؟ لماذا ترتسم في خيالها صورة لرجل طويل، أسود الشعر، رمادي العينين؟ وأبعدت عن ذهنها صورة هولدن هاتاواي بفروغ صبر.

ـ أنا هنا في الحقيقة، لمراقبة الكلب. ولا أدري إذا كنت ستتمتع بوجود كلب ضخم ذي وبر خشن، في سيارتك.

ـ هل تجالسين الكلب ليلاً نهاراً؟

بدا جلياً أنه لا يحب فكرة أن يغطي وبر الكلب مقعد سيارته، لكنه مع ذلك لم يذعن أو يتراجع.

أجابته: «لا».

فسألها: «هل لي إذن أن أدعوك على العشاء ذات مساء؟».

أخذت نفساً عميقاً، وفكرت في هولدن، وإذ تملكها الضيق والحيرة وجدت نفسها تقول: «نعم».

وهكذا وضعت سماعة الهاتف بعد أن وافقت على الخروج مع دايڤيد موسغروف، في مساء الغد. شعرت بالحيرة والضياع، وراحت تقنع نفسها بأنها كانت لتقبل بالخروج مع دايڤيد على أيّ حال، إذا ما دعاها. لكنها، وبشكل ما، أدركت أن ما دفعها إلى القبول هو هولدن الكامن في خفايا ذهنها.

أطلعت جازلين غريس على تفاصيل المخابرة، ثم لوّحت لها ولأبيها وهما ينطلقان بحثاً عن بقعة تصلح للرسم. ثم اصطحبت الكلب ريمي في

نزهة قبل أن ترتفع الحرارة. وعندما راح يلهث تعباً، عادت إلى المنزل، وتركته في مكان مسقوف بالقرميد قرب المطبخ يمكنه أن يرتاح فيه، ثم وضعت له مروحة. وفكّرت جازلين في أن تتابع نزهتها من دونه ما دام الجو حسناً.

دخلت المنزل لتقدّم المساعدة لمدبرة المنزل. لكنها اكتشفت أن شابة اسمها نانسي تأتي من القرية أيام الاثنين والثلاثاء والأربعاء لتساعد السيدة ويليامز، لهذا لم تكن هذه الأخيرة بحاجة لعون منها. وهكذا حملت جازلين دفتر رسومها وتوجهت نحو كثبان الرمل.

لم يعد أبوها وغريس على الغداء، لكن جازلين عادت إلى المنزل لتتأكد من أن الكلب لا يضايق المرأتين، وإذا بها تكتشف أنه والسيدة ويليامز أصبحا صديقين. وبدا أن الكعك الذي قدمته له قد أعجبه.

لم تشأ أن تزعجهما وتقطع انسجامهما... لهذا، تناولت شطيرة وخرجت مجدداً. ووجدت بعض الظلال عند كثبان الرمال فجلست، ثم أطلقت العنان لأفكارها.

قال لها: «هل قلت لك إنك رائعة؟». لماذا لم يتصل بها إذن ويطلب منها موعداً؟ الرجال الآخرون يفعلون هذا.. لكن هذا لا يعني أنها ستخرج معه مرة أخرى! وإن كانت واثقة من أنها ستبقى آمنة معه. هولدن، مثلها، لا يهتم بالزواج، لهذا... بحق الله، أخرج من أفكاري يا هولدن.

وإذ أدركت أن هولدن عاد يحتلّ أفكارها، فرغ صبرها، فتركت كثبان الرمل وعادت إلى البيت. هل هو إلى الشمال أم إلى اليمين؟ واختارت الشمال متجهة إلى الجهة الخلفية للمنزل حيث المرآب. وما أن دارت حول الزاوية حتى جمدت في مكانها، أتراها رأت شيئاً؟ وهل أصبح هولدن هاتاواي يتراآى لها لشدة ما يشغل فكرها؟ يمكنها أن تقسم أن السيارة الفخمة التي توقفت لتوّها خلف المنزل هي سيارته، وأنّ الرجل الذي خرج منها ليس سوى هولدن هاتاواي!

* * *

٣ ـ صديقان . . . وشيء ما!

لم تتأكد جازلين من أن هولدن ليس شبحاً، إلا بعد أن خرجت مدبرة المنزل، واتجهت إليه تحييه بوجه مشرق، مبتسم.

أخذ قلب جازلين يخفق وهي تتساءل عما يفعله هنا. لكن، من الطبيعي أن يعرف هو وخالته الأشخاص نفسهم، وبدا من استقبال مدبرة المنزل، أنه أمضى بعض الوقت هو أيضاً في «ساندبنكس». لعل أمه أخبرته أن خالته هنا. . وكان في الجوار ففكر في أن يمر بهم ليشرب معهم الشاي.

عندما عادت مدبرة المنزل إلى الداخل، التفت هولدن فرأى جازلين. تقدمت نحوه، وقد أدركت أنّ عليها أن تلعب دور المضيفة في غياب خالته. وتزاحمت الكلمات في رأسها، أتكتفي بكلمة مرحباً، أم تقول له: «من الغريب أن أراك هنا»، أو «أيّ ريح حملتك إلينا». لكن عندما وقف هولدن وراح يتأملها وهي تقترب منه، لم تخرج أي كلمة من فمها. وبعد لحظات، سمع الإثنان صوت سيارة تقترب، فتملك جازلين سرور بالغ. كان هولدن أنيقاً للغاية، في حين ارتدت هي سروالاً قصيراً وقميصاً فضفاضاً، بديا قذرين لطول ما جلست على كثبان الرمل. . . كما لم تتذكر متى سرّحت شعرها لآخر مرة. أحست بالحرج لمظهرها الفوضوي، لكنها ابتسمت له وقالت عندما اقتربت سيارة أبيها: «كيف الحال؟».

ـ لا بأس، وأنت؟

وراحت عيناه تتفحصان مظهرها وقد بدت كالمتشردة.

ردت وهي تفكر في مدى سرورها لرؤيته: «أمضي وقتاً رائعاً! ها هي خالتك وأبي».

وشعرت فجأة بالإضطراب. وما أن حوّل هولدن عينيه عنها لينظر إلى خالته الحلوة، حتى قالت: «المعذرة».

ثم اندفعت هاربة.

وقبل أن تفكر في ما تفعله، وصلت إلى غرفتها، ماذا حدث لها؟ فهولدن ليس أول رجل محنّك تعرفه!

لما هربت بهذا الشكل؟ لقد ورّطت نفسها الآن في مشكلة. فمن قلة التهذيب، أن تمكث هنا في غرفتها أثناء زيارة هولدن. عليها أن تنزل وتشاركهم الأحاديث أثناء شرب الشاي، لتنسحب بعد ذلك بلباقة.

أخذت تمشط شعرها. . ما هذا؟ لم تحمل أيّ أدوات للزينة! اندفعت إلى الحمام وغسلت وجهها. وأدركت أن هولدن سيظن أن له تأثيراً عليها إذا ما لاحظ أنها صعدت إلى غرفتها لتلطخ وجهها بالأصباغ، خصوصاً وأنه ليس من عادتها الإكثار من الزينة.

عند ذلك وقفت جامدة وحاولت أن تتمالك نفسها. تنبّهت إلى أنها لم تصل يوماً إلى هذه الدرجة من التشوش والاضطراب بسبب رجل. لكنه مجرد رجل عادي ليس إلا. . . ابن أخت غريس مرّ بهم لكي يطمئن على خالته، وأصول الآداب تلزمها بالنزول لكي تراه. من المؤسف أن الجو حار جداً وإلاّ لوجدت في إخراج الكلب للنزهة عذراً ممتازاً.

بعد خمس دقائق، وبعد أن تساءلت عن العذر الذي يمكنها أن تختلقه، وضعت بعض اللون على شفتيها، وارتدت بنطلوناً أبيض وبلوزة دون كمين، ثم غادرت غرفتها.

وكما توقعت، كان الثلاثة في غرفة الاستقبال، وأمامهم صينية الشاي. وقف لها هولدن احتراماً، فسارعت إلى الجلوس على أقرب كرسي، آملة ألاّ يتذكر ما كانت ترتدي. سألتها غريس باسمة: «شاي؟».

فأجابت جازلين وهي تبادلها الابتسام: «لا، شكراً».

فإذا حانت اللحظة المناسبة، ستتمكّن من الخروج دون أن يعيقها نصف فنجان شاي. وسألتها: «كيف تسير أحوال التخطيط».

فأجابت غريس ضاحكة: «سوف أتحسّن».

وأضافت: «وساعديني على إقناع ابن أختي بأخذ إجازة لأيام، لقد اعترف لتوّه بأن ما من سبب يدعوه للعودة إلى لندن، لهذا يمكنه أن يأخذ فترة استراحة».

أجفلت جازلين داخلياً حين أدركت أن غريس تعني أن يمكث هولدن معهم.. إلاّ أن خالته التفتت إليه بكل محبة واهتمام، وتابعت تقول: «إن عملك شاق، يا هولدن. وبعض الراحة لن يضرك أبداً».

وقال أبوها: «وستكون مرافقاً ممتازاً لجازلين».

فتملك الغيظ جازلين وهي التي نادراً ما تعارض والدها. ليست بحاجة إليه ولا لأي شخص آخر لكي يعرّفوها على أصدقاء محبين، كيف يفعل بها هذا؟

امتزج الغيظ بالارتباك، وعندما رأت أعين الثلاثة تنصبّ عليها، لم تستطع البقاء في مكانها، فقالت: «عليّ أن ألقي نظرة على ريمي».

لم تكن تتوقع أن تتركهم بهذه السرعة، ولكن لصبرها حدود. وأضافت: «لقد أمضى مع السيدة ويليامز معظم النهار ولا أريده أن يصبح عبئاً عليها».

لم يتحرك ريمي كثيراً منذ رأته لآخر مرة، بل بقي في ذلك المكان البارد المسقوف بالقرميد. ولم تكن السيدة ويليامز تشعر بالضجر معه، بل على العكس، ازدادت محبتها له عن السابق.

أجابت على سؤال جازلين عما إذا أزعجها: «ليس مزعجاً أبداً، ولقد أحب المكان».

تركته جازلين حيث كان. لكن لم تستطع أن تعود إلى غرفة الاستقبال،

لذا خرجت من الباب الخلفي. ولم يزُل شعورها بالاستياء وهي تتسكع على الشاطىء ويداها في جيبي بنطلونها. كانت من أشد المعجبات بأبيها، لكنه حقاً...

كانت تحسّ بالاستياء، والغيظ والإرتباك عندما التفتت قليلاً ورأت هولدن قادماً نحوها، وقد خلع سترته وربطة عنقه.

كان أمامها خياران، إما أن تركض هاربة، وإما أن تنتظر. لكن كرامتها حسمت الأمر فانتظرت. وعندما دنا منها سألها: «أما زلت مستاءة؟».

لقد رأى الكثير. ظنت أنها تمكّنت من إخفاء ارتباكها وضيقها، لكن يبدو أن هذا الرجل لا يفوته شيئاً.

وقف على بعد خطوات منها فنظرت إليه برزانة، وقد منعها صدقها وصراحتها من أن تدّعي أنها لم تفهم ما عناه، وأجابت: «مشاكلي الحاضرة تكفيني، وتغنيني عن أن يبحث لي أبي عن أصدقاء جدد».

فقال بلهجة مماثلة للهجتها: «وماذا فعلت أنا؟» ثم أضاف يحاول إقناعها بهدوء: «لا أظن أن أباك قصد ما فهمته. وهو، على أيّ حال، لا يعرف شيئاً عن علاقتنا الخاصة».

نظرت إليه بعينيها البنفسجيتين، وقد خفق قلبها للكلمتين الأخيرتين، ثم تمتمت: «طبعاً».

وفجأة، بدأت تشعر بالتحسّن. لقد خرجت مع هولدن لتبعد عنه امرأة تطمع بأمواله، لكن أباها لم يكن يعلم ذلك. وهكذا، حين وصل هولدن اليوم، ربط أبوها بين الأمرين، لكنه أخطأ في تخمينه. وقال هولدن: «أنت حساسة جداً».

فعاد قلبها يخفق بسرعة. حوّلت نظراتها عنه وهي تبحث بلهفة عن شيء.

ـ الجوّ حار بالنسبة لريمي.

فابتسم، وبادلته الابتسام وهي تنظر إليه.

نظر إليها وسمر عينيه على فمها، ثم سألها وهو يحولهما إلى عينيها: «هل نحن صديقان يا جازلين؟».

أرادت أن يكونا صديقين. لم تشأ أبداً أن يختلفا، فقالت موافقة: «صديقان».

ثم مدت له يدها مصافحة، فأخذ يدها وسألها: «ما رأيك إذا أمضى صديقك بضعة أيام في ساندبنكس؟».

نظرت إليه بجد، وأجابت: «أهلاً بك بيننا».

فقال مؤنباً: «لم تجيبي على سؤالي».

حدقت فيه، وأدركت أن الصدق هو سبيلها الوحيد: «أودّ أن يمكث صديقي هنا».

نظر إليها ثم طبع قبلة على جبينها، فتسارعت دقات قلبها. لكن، ما أن ترك يدها وابتعد عنها، حتى لم يعد لتلك القبلة البريئة أيّ تأثير. وسألها بعفوية: «أما زال توني يضايقك؟».

فأجابت وهما يعودان إلى البيت برضى: «يبدو أنني لن أتخلص منه بسهولة».

فقال بمرح: «أتريدينني أن أوسعه ضرباً؟».

فقالت ضاحكة: «ألا ترى أن هذا قليل عليه؟».

والتفتت إليه فرأت المرح مرتسماً في عينيه.

عندما دخلا إلى المنزل أمسكت بهولدن خالته، فتركته جازلين وصعدت إلى غرفتها وهي تشعر بالسعادة لوجوده هنا.

لوجود هولدن هنا؟ أقلقتها هذه الفكرة قليلاً، إلى أن وصلت إلى تحليل أرضاها. وتساءلت لما لا تكون سعيدة لوجوده؟ فهو الآن من أقاربها. لم يصبح صديقها وحسب، إنما هو ابن أخت غريس أيضاً.

لم تكن جازلين واثقة مما ستشعر به إذا ما تزوّج أبوها غريس. ولم تشأ أن تواجه هذه الفكرة المفاجئة، فغريس مختلفة تماماً عن زوجتيه السابقتين..

لكن... لا، لا تريد التفكير في ذلك.

إذا تزوّج أبوها خالة هولدن، فستصبح هي وهولدن، أقارب. ووجدت جازلين أنها سعيدة في تخيّل العلاقة التي ستقوم بينها وبين هولدن، أكثر منها بموضوع الزواج.

ألا يعني هذا أن غريس ستصبح بمثابة أمها أمام القانون، وهولدن بمثابة ابن خالتها؟

ولم يكن لديها خبرة في هذه الأمور، إذ لم يكن لديها أبناء خالة. وراحت تتساءل، وهي تبحث عن شيء تلبسه، عما إذا كانت الفتيات عادة يهتممن بما يلبسنه عندما يتناولن العشاء مع أبناء خالتهن. ولم تتذكر أنها شغلت بالها الليلة الماضية بما عليها أن تلبسه.

ثم قررت أن ترتدي بنطلوناً أسود وقميصاً حريرياً أبيض، ما دام هولدن لا يحمل معه سوى بذلة العمل التي يلبسها، وما دامت هي في إجازة. لكن، لما عليها أن تطابق ملابسها مع ملابسه، هذا ما لم تفهمه. ربما لأنها، حساسة جداً، كما قال لها من قبل. ونزلت إلى الطابق السفلي وهي تفكر في أن هولدن قد يقصد السوق في الغد ويشتري بعض الملابس المناسبة. لكن، عندما دخلت غرفة الجلوس، أدهشها أن تكتشف أنه لم يكن بحاجة إلى ذلك. إذ لم يعد هولدن يلبس البذلة الرسمية، بل بذلة خفيفة رمادية اللون أنيقة جداً، تبرز كتفيه العريضتين ورجولته الفائقة.

ولم تكن تعرف طبيعة عمله، ففكرت في أن أمثاله من كبار رجال الأعمال، يحملون معهم على الأرجح، ملابس أقل رسمية للتغيير. وتقدمت جازلين نحوه فسألها: «أتشربين شيئاً ما؟».

ـ نعم، أي شيء يروي العطش.

تناولت منه كأس العصير، وراحت تتبادل الحديث معه ومع خالته حتى حضور إدوين بالمر.

لم تدرك جازلين أن الوضع مختلف عما تصوّرته إلا بعد أن جلسوا إلى

مائدة العشاء. وكانوا قد شرعوا في تناول الطعام حين دخلت السيدة ويليامز وهي تحمل زجاجة عصير، ناولتها إلى هولدن وكأنه المضيف. وفيما بعد، سألت هولدن عما إذا كان الطعام جيداً.

ـ كل شيء ممتاز، شكراً لك يا سيدة ويليامز؟

حسناً، لقد زار المكان من قبل. ألم ترحّب به السيدة ويليامز عندما رأته قادماً، وكأنها تعرفه؟ أخذت جازلين تفكر في ذلك محاولة أن تجد أجوبة على الأسئلة التي تزاحمت في ذهنها. وكانت قد أنهت طعامها لتوّها عندما ساورها إحساس ما... شيء ما لا علاقة له بالحدس أنذرها بأن هناك أمراً مريباً.

ـ متى كنت هنا آخر مرة؟

طرحت غريس هذا السؤال على ابن أختها بعد أن كانت تحدث إدوين بالمر عن لوحة رائعة يعرضها هولدن في شقته في لندن.

وأجاب هذا الأخير: «يوم الجمعة».

الجمعة! كان هولدن هنا يوم الجمعة الماضية، فهتفت خالته قائلة: «نحن جئنا يوم السبت، بعدك بيوم واحد فقط!»

ـ هذا صحيح.

بدأت جازلين تشعر بالضيق. إنها ضيفة غريس.. ولكن بيت من هذا؟ بيت صديق غريس أم صديق هولدن؟ كان هنا يوم الجمعة، وها قد عاد!

وأخيراً، استطاعت أن تسأله: «هل تأتي كثيراً إلى... هذا المنزل؟».

وقبل أن يجيب هولدن ضحك أبوها وقال هازئاً يغيظها: «ولما لا يأتي غالباً، يا جازلين؟ أم أنني لم أذكر لك أن هولدن هو صاحب هذا البيت؟».

وعندما جلست جازلين مذهولة لا تنطق، أضاف أبوها: «هولدن يمضي معظم أيام الأسبوع في لندن، لكنه، عموماً، يعيش هنا، ظننتك تعلمين ذلك!»

شعرت بأنها تريد أن تموت، هولدن صاحب ساندبنكس؟ إنه بيته إذن،

وهي ضيفته! لقد قالت له أهلاً بك بيننا، في حين أنه صاحب البيت. يا له من إحراج.. إنه أمر لا يطاق!

أجابت أباها: «لم.. لم أكن أعلم في الحقيقة».

وشعرت برغبة في الابتعاد عن هذا المكان بأسرع ما يمكنها. «منزلك غاية في الجمال».. شيء في داخلها حثها على أن تقول هذا من باب التهذيب، لكنها لم تستطع سوى أن تلقي نظرة خاطفة على هولدن.

لقد لاحظت عصر هذا اليوم، أن شيئاً لا يفوته، وأدركت من نظرات عينيه الرماديتين أنه، وبشكل ما، يعلم ما تشعر به. فأجاب بهدوء: «يسرّني أن أستضيف أصدقائي وأقاربي هنا».

لقد دعاها صديقته، أتراها سمعت تشديداً على كلمة أصدقائي؟ هل قال إنه مسرور باستضافتها؟ كانت جازلين من الإنفعال بحيث لم تتأكد من ذلك. جلّ ما أرادته هو أن تبتعد... أن تخرج من هنا. ولكن كيف؟

حلّت السيدة ويليامز المشكلة حين أحضرت القهوة. شكرت جازلين مدبرة المنزل على الطعام، وعندما سألتها المرأة إذا ما أرادت المزيد، قالت: «كان الطعام شهياً، يا سيدة ويليامز. لكنني لا أستطيع أن آكل أو أشرب أكثر من ذلك».

وبعد أن غادرت المرأة الغرفة عادت تقول: «أرجو المعذرة».

لم توجّه كلامها إلى شخص محدد، وخرجت بشكل عفوي قدر الإمكان، آملة أن يعتقدوا أنها خرجت لتنزّه الكلب.

فكّرت في أن تأخذ الكلب للنزهة في برودة المساء، لكنها، وبدلاً من ذلك، صعدت إلى غرفتها مصممة على عدم النزول منها مجدداً تلك الليلة.

شعرت بأنها حمقاء. رباه، ما أحمقها حين قالت له: «أهلاً بك بيننا»! يا للغباء! وما أكرمها! وهو صاحب المنزل! فلماذا سألها عن رأيها ببقائه معهم لبضعة أيام؟ ولا عجب في أنه لعب دور المضيف عندما سألها عما تريد أن تشربه، فهو فعلاً المضيف. ولم يتصرف على هذا النحو لأن أباها لم يكن قد

نزل بعد.

آه، لم يخبروها! كانت واثقة من أن أحداً لم يخبرها بذلك. حتى هذا المساء لم تسمع أحداً يشير إلى أن هولدن هو صاحب هذا البيت، وكانت تتساءل عما إذا أحضر معه ملابس أخرى، في حين أن لديه هنا خزانة بأكملها. وأمضت جازلين بقية السهرة تستعيد الحديث الذي دار بينها وبين غريس وبينها وبين أبيها، لكنها لم تجد ما يشير إلى أن هذا البيت ملك هولدن. أدركت جازلين أن الأمر لا يستحق الاستياء، كما أن هولدن قال بصراحة إنه سعيد باستضافتها لأنها صديقته. لكنها، مع ذلك لم تشعر بأيّ تحسّن في حالتها النفسية.

لم تنم جيداً تلك الليلة، واستيقظت باكراً والأفكار نفسها تتصارع في ذهنها. قفزت من سريرها وتوجّهت إلى الحمام وهي لا تزال تشعر بأن كرامتها مجروحة، وعادت تتذكر كيف قالت له أهلاً بك بيننا.

لعلها حساسة، لكن أي شخص آخر لا بد أن يشعر بالحرج في ظروف كهذه. وانتابها إحساس بالتعاسة وهي ترتدي ملابسها. اختارت سروالاً قصيراً وبلوزة وحذاء خفيف، ثم غادرت الغرفة.

كان ريمي في انتظارها وحيّاها قبل أن تصل إلى أسفل السلم.

قالت له حين راح يهز ذيله متحبباً: «لا بأس عليك».

وأخذته وخرجا معاً للنزهة. لا أحد غيرهما في هذه الأنحاء في مثل هذه الساعة. ولن يهرب، فلم تزعج نفسها بالإمساك به.

أخذ ريمي يسابقها، ليعود بعد قليل، مبدياً فرحه باللعب على الشاطىء الخالي. وراحت جازلين تفكر في أنها كانت سعيدة مثله، حتى عشاء ليلة أمس. وتذكّرت حين قالت له: «أهلاً بك بيننا».

وأخيراً توصّلت إلى حلّ وهو أنها سترحل عن هذا المكان اليوم، لكنها لم تكن واثقة من قدرتها على تنفيذه. وبعد أن قطعت شوطاً طويلاً، أدركت فجأة أن هذا هو الحل المناسب الذي عليها أن تعتمده.

واستدارت عائدة. شعرت في أعماقها بعدم الرغبة في الرحيل، إلا أن الكبرياء، والحرج، والشعور بالإهانة.. أياً كان إحساسها بالتحديد، طالبها بالعودة إلى بيتها في «باكينغهامشاير» كحل أنسب. حتى أن توني وإلحاحه المزعج بدا لها أهون الشرين. لكن ما الذي يدفعها إلى التصرف بهذه الطريقة، فهذا ما لم تكن تعرفه.

وأدرك ريمي أنها عائدة إلى البيت، فقام بدورة سريعة عاد بعدها إلى جانبها. واستغرقت جازلين في التفكير في موضوع رحيلها، يا ليتها جاءت في سيارتها! لكن بما أنها لم تشأ أن يحدث رحيلها أيّ ضجة، فكرت في أن تطلب سيارة أجرة لتوصلها إلى أقرب محطة قطار. ستترك ريمي مع السيدة ويليامز وسيكون سعيداً جداً، كما أن المرأة تسرّ بصحبته، ولن تمانع في بقائه معها عندما يخرج أبوها وغريس.

وبعد أن عقدت العزم، حثّت الخطى باتجاه المنزل. لكنها اضطربت فجأة، وهي تنظر إلى البعيد. رأت شخصاً يتقدم نحوها بخطى واسعة، قادماً من ساندبنكس.

ولم يكن أباها. رآه ريمي أيضاً فانطلق نحوه بسرعة فائقة وشرع يحييه بفرح غامر. وعادت تجدّ في سيرها، وقد أحست بالإحراج فلم تشأ أن تتلكأ أو أن تتكلم. اقترب هولدن منها، فأخذت نبضات قلبها تتسارع.

حيّته ببرودة وحزم: «صباح الخير».

لم تستطع أن تتجاهله، فهو مضيفها. لكن لما تشعر بمثل هذا الاضطراب؟ كانت على وشك أن تتجاوزه بسرعة، عندما مدّ هولدن يده وأمسك بذراعها ثم أدارها لتواجهه.

ـ هاي.. ماذا فعلت أنا؟

طرح سؤاله وهو يقف أمامها فارع القامة، طويل الساقين، مرتدياً سروالاً قصيراً مثلها.

ـ كلب شقي!

كان هذا كل ما تمكنت من قوله وهي تبلع بريقها.

فهتف بدهشة: «ماذا؟ أنا؟».

فسارعت تقول: «أعني ريمي».

وكان هذا الأخير يدور حوله ويقفز بنشاط.

ـ لقد عرفني.

فردّت ببرودة: «لم أكن أعلم أنكما تعرفان بعضكما».

نظر إليها هولدن بحدة، فرأت أن برودتها لم تعجبه على الإطلاق.. حسناً، لن يضطر إلى احتمالها لوقت طويل، فسرعان ما سترحل من هنا. لكن لهجته كانت متزنة وهو يقول: «لقد قمنا بنزهة طويلة معاً الليلة الماضية».

إنه يجعلني أشعر بالذنب.. ولما لا يفعل؟ وتمتمت: «شكراً».

يمكنه أن يصطحب ريمي في نزهة طويلة أخرى، الليلة. وكان قد ترك ذراعها فتحولت عنه لتتابع سيرها.

وكرر هولدن سؤاله: «لكن ماذا فعلت لك؟».

يبدو أنه يرفض عدم الحصول على أجوبة لأسئلته.

ـ لا شيء.

ثم أضافت برزانة: «سأرحل الليلة».

فقال بحدة وسرعة وعيناه العنيدتان الرماديتان تحدقان في عينيها البنفسجيتين الجميلتين: «هل لأنني بقيت هنا؟».

قالت له باندفاع: «لم أكن أعرف أنك صاحب هذا البيت».

فأجاب: «وهل عليّ أن أعتذر لذلك؟».

أرادت أن تضحك. ما بال هذا الرجل؟ جملة بسيطة منه تكفي لتوقظ فيها حس الفكاهة.

ـ لا، ولكن.. ولكنك لا تريد أن يحتلّ الجميع بيتك.

ـ إنك تحاولين دفعي بهذا القول، إلى الترحيب بك مجدداً.

فقالت وقد فارقتها الرغبة في الضحك: «أنا راحلة».

ـ أريدك أن تبقي هنا.

عكس صوته تصميمه على ذلك. وعندما هزت رأسها، تابع متحدياً: «وهل عليّ أن أتلقى العقاب لأنك ضيفتي ولم تعودي ضيفة خالتي؟».

ـ على شخص ما أن يتلقى...

وسكتت فجأة وهي تحملق فيه مضيفة: «العقاب؟».

فقال بحدة: «إسمعي، يا جازلين بالمر.. لقد اتفقنا، أنا وأنت، على أن نكون صديقين. وسأكون مرتاحاً معك، إذ أعلم جيداً أنك لا تخططين للزواج مني».

فقالت بازدراء: «الزواج منك؟».

ـ بالضبط. أعرف أن ما أقوله غرور مني، لكن عليّ أحياناً أن أتهرّب. وبما أنك تفكرين مثلي، أشعر بالراحة معك، إذ بإمكاني أن أستمتع بصحبتك دون الخوف من أن تخططي للزفاف.

وهتفت جازلين: «لا سمح الله».

وأقرّت بأن حدة توترها قد خفّت، بعد أن قال لها إنه يريدها أن تبقى، وإنه يستمتع بصحبتها.

لكنها حملقت فيه مجدداً حين قال بحثها: «كوني لطيفة يا جازلين، فأنا أحتاجك هنا لتحميني من مساعي خالتي ونواياها الحسنة».

فسألته مجفلة: «غريس؟».

ـ نعم، وبالرغم من معزّتي لها، فلا شيء يسرّها أكثر من أن تبحث لي عن امرأة يمكننا أن نبني معاً قصوراً من الأحلام. هذا إذا لم تكوني هنا طبعاً.

فهتفت: «أنت لست جاداً».

إنه يعيش هنا في أغلب الأوقات، ولعله يعرف كل امرأة في المنطقة. ولكن..

وهتفت فجأة: «آه...».

نظر إليها متسائلاً، فقالت: «الحديث عن قصور الأحلام ذكّرني بأن لديّ موعد الليلة».

فسألها على الفور وبجدية: «مع من؟».

أجابت وقد فوجئت بحدته فلم تستطع المراوغة: «مع دايفيد مسغروف».

ـ الطبيب؟

ـ نعم. لقد عرّفتني إليه خالتك.

فقال ببطء: «هل فهمت ما أعنيه؟ خالتي ذات موهبة فريدة في...».

ـ لم نقصد أن تعرفنا ببعضنا، وإنما قابلناه صدفة وهو خارج من بيت مريض. لقد نسيت موعده، لكنني كنت طبعاً سأتذكره قبل أن أركب القطار.

لكن لم يبد على هولدن الاقتناع.

ـ هل سترحلين وتتركينني تحت رحمة خالتي؟ ظننت أننا أصبحنا صديقين.

عاتبها بظرف جعل دفاعاتها تنهار، وسألته بجدية: «هل... تريدني حقاً أن أبقى؟ أعني بصفتي ضيفتك؟».

كانت عيناها مسمرتين على عينيه، فأخذ يبادلها التحديق دون أن يحوّل نظراته عن وجهها، ثم ابتسم ابتسامة رائعة، وهو يقول: «ومن غيرك يمكنها أن تسبح معي بثيابها هذه؟».

فأخذ قلبها يخفق بسرعة، وسألته: «أسبح؟».

اختنق صوتها، وبعد عودته إلى طبيعته، تابعت تقول: «هل تقترح عليّ أن أسبح بملابسي؟».

تحوّلت ابتسامته الرائعة إلى ضحكة أخّاذة، وعلّق قائلاً: «إذا خلعت ملابسك سأخلع ملابسي بدوري».

أخذت تحدّق فيه مطولاً.. وإذا بالتوتر والصدمات التي عانت منها في

الأسابيع الماضية قد تبددت فجأة. وسرى في كيانها شعور رائع براحة البال، فمدت يدها إليه: «هل نحن صديقان؟»

أمسك بيدها يهزها، مسمراً عينيه على وجهها، وغمرها الفرح حين قال: «صديقان».

وعندما ترك يدها تخلصت من خفيها، وقلبها يخفق بسرعة، ثم قالت له قبل أن تقفز إلى البحر: «ما الذي يؤخرك؟».

كان الوقت مبكراً وحرارة الشمس لا تزال معتدلة، فخرجت من غطستها وأسنانها تصطك.

التفتت ورأت هولدن يسبح بالقرب منها. أيّا من منهما غطس أولاً، فهذا ما لم تعرفه وإن كانت تعتقد بأنه سبقها. صرخت: «المياه باردة جداً».

ـ ألست مسرورة لأنك لم تخلعي ثيابك؟

فضحكت. لم تشعر من قبل بمثل هذه الحرية والسكينة.

ولم يلبثا طويلاً في الماء لبرودتها، وأصرّ هولدن على أن الهرولة إلى المنزل ستفيدهما أكثر من البقاء في الماء حتى يتجمدا برداً.

وهكذا، هرولا معاً نحو البيت، وراح هولدن يبطىء من خطواته ليجاري خطواتها، فيما سبقهما ريمي. وعندما وقفا في الردهة قبل أن يفترقا، قال هولدن وهو يتأمل وجهها المشرق وشعرها المبتل.

ـ والآن حمام ساخن. أنت حقاً أغرب فتاة عرفتها.

خرجت الكلمات من فمه بعفوية بالغة وكأنه لم يستطع منع نفسه من ذلك.

فردّت هازئة: «أنت تقول هذا لأنني صديقتك الوحيدة البلهاء التي تصدق كل ما تقوله».

ثم هتفت وهي ترى ملابسها المبللة تقطر ماء: «إنني أتلف سجادتك».

وهرعت إلى السلم فصاح في أثرها: «هل ستبقين؟».

وعند قمة السلم استدارت نحوه ثم انحنت قائلة: «شكراً على دعوتك

هذه، يسرني جداً أن ألبيها».

أومأ هولدن برأسه بصمت، ثم توارى عن الأنظار، بينما ركضت جازلين إلى غرفتها. لكنها لم تر السعادة في عينيها التي عكستها مرآة الحمام إلا بعد أن اغتسلت وجففت شعرها. عند ذلك، ساورها أول شك بالنسبة لصداقتها مع هولدن هاناواي.

أحسّت بالسعادة وهي تتحدث إليه.. وبالسعادة والحبور البالغين وهي تسبح معه بكامل ثيابها. كما ضحكت معه وهما يهرولان عائدين إلى البيت. فهل هذه السعادة أمر طبيعي مع شخص هو مجرد صديق؟

كان لديها أصدقاء آخرين، لكنها لم تشعر مع أيّ منهم بالتألق والحماسة اللذين تشعر بهما مع هولدن. فهل يعود ذلك إلى الراحة وتبدد التوتر الذي سببه لها توني بمكالماته المتواصلة؟ لم تكن واثقة من السبب.

كانت سعيدة من قبل دون أن تعي سعادتها تلك. لكنها مع هولدن، تشعر بسعادة مختلفة، وكأن كل شيء ازداد عمقاً، وأصبحت تدرك سعادتها مما جعلها تشعر بالحذر.

ها قد استيقظ المنزل ودبّت الحركة فيه. بقيت جازلين في غرفتها، وقد أحست بالغريزة أنه من الأفضل تجنب الاحتكاك بهولدن، بما أنها قررت البقاء.

واكتشفت فيما بعد أن الأمر سهل للغاية فحين غادر أبوها غرفته، نزلت إلى غرفة الطعام لتتناول الفطور، فوجدت أن غريس وابن أختها قد سبقاها وهما يتشاوران حول الذهاب إلى السوق. سألت غريس إدوين بالمر: «سيأخذني هولدن إلى السوق، هل تريد مرافقتنا؟».

فأجاب بلهجة ديبلوماسية: «لا، إلاّ إذا رأيت أن ذهابي معكما ضروري».

فقالت باسمة: «ألا تريدين مرافقتنا يا جازلين؟».

فأجابت هذه الأخيرة: «أفكر في الرسم اليوم».

سألها هولدن ببساطة وقد بدا أنه لا يهتم بمرافقتها لهما: «أتريدين أن أحضر لك شيئاً معي؟».

ـ لا، شكراً.

وبعد مغادرتهما، حملت مظلة كبيرة وخرجت وهي تتساءل عما حدث لها. كانت واثقة من أن هولدن سيسعده أن تذهب معهما بسبب صداقتهما، لكنها اكتشفت أن رفضها لم يزعجه!

لكن، ماذا عن مشاعرها هي؟ كانت سعيدة قبل فترة، ولا تزال، كما تظن، إنما ثمة شيء ما يضايقها. غرست المظلة في الرمل، وطردت من عقلها ذلك الشعور بالغيظ. ما الذي جعل مزاجها يتكدر؟ وبعد ساعات كانت لا تزال في مكانها، تفكر في إلغاء موعدها مع دايفيد مسغروف. وعندما نهضت ونظرت إلى الشاطىء، رأت من بعيد أباها وغريس يسيران على الشاطىء يداً بيد، لقد عادا إذن!

وتملكها انزعاج سخيف، فهولدن الذي يرغب في إقامة علاقة صداقة معها أثناء إجازته القصيرة هذه، لم يزعج نفسه بالبحث عنها. وتمالكت نفسها.. رباه، وهل هذا يهمها حقاً؟ أما بالنسبة إلى إلغاء موعدها مع الدكتور دايفيد، فلن تفعل، بل ستذهب وستمضي وقتاً طيباً.

ولا يعني هذا أن خروجها الليلة سيزعج صديقها بأي شكل من الأشكال. وأبعدت فكرة أنها ترغب في أن يشعر بالإنزعاج! لأن هذا غير صحيح. لا بد أن تجربتها مع توني جونستن قد زعزعت استقرارها النفسي أكثر مما توقّعت. عادت عند الغداء إلى البيت فصعدت إلى غرفتها لتسوّي من شأنها. وحين نزلت، وجدت الجميع في غرفة الطعام، فقالت تعتذر: «أتراني تأخرت؟ آسفة».

أجابت غريس باسمة: «أنت لم تتأخري، إنما نحن مبكرون».

فقالت جازلين وهي تجلس: «هل كان السوق جيداً؟».

فتدخل هولدن يسألها: «وهل رسمت أشياء جيدة؟».

نظرت جازلين إليه، دمثاً، ودوداً، وسيماً، ثم قالت تعترف: «أنا ميئوس مني بالنسبة إلى الرسم».

فقال بمرح: «لا يمكنك أن تجيدي كل شيء».

أرادت أن تضحك، وأجابت: «هذا صحيح».

وتعجّبت كيف جعل قلبها يخفق عندما ابتسم.

قالت غريس معلّقة على كمية سمك السلمون الصغيرة التي وضعتها جازلين في طبقها: «أنت لا تأكلين كثيراً».

ثم أضافت، وكأنها تذكرت لتوّها: «لا بد أنك توفّرين شهيتك للعشاء مع دايڤيد مسغروف الليلة».

ابتسمت جازلين لها، لكن قبل أن تجيب، كشف هولدن عن عدم اكتراثه بالموضوع، حين قال بمودة: «سأخرج أنا أيضاً هذا المساء، ويمكنني أن أوصلك إلى موعدك إذا شئت!».

إلى أين تراه يذهب؟ إلى موعد على ما يبدو، وابتسمت له وهي تتناول السلطة، قائلة: «دايڤيد سيأتي لاصطحابي، شكراً لك».

وكما لاحظت غريس، لم يكن لدى جازلين شهية.

أمضى هولدن عصر اليوم في مكتبه، ولم يظهر عندما فتحت جازلين الباب لدايڤيد مسغروف. كانت جاهزة، لكنها دعته للدخول لتقدمه إلى أبيها. وعندما غادرا بعد دقائق، قالت غريس تودّعهما: «أتمنى لكما وقتاً طيباً».

وانطلقت السيارة، فسألها دايڤيد: «كيف تقضين إجازتك؟».

أجابته: «باسترخاء رائع».

ـ ألم تسبحي بعد؟

ـ بلى، هذا الصباح.

أجابته على سؤاله ولم تستطع إلا أن تبتسم للذكرى.

كان دايڤيد مرافقاً لطيفاً للغاية. لكن جازلين أدركت أنه ليس من النوع

الذي يمكنه أن يدعوها للسباحة بثيابها، كما فعل هولدن.

بدا لها من غير اللائق أن تفكر في هولدن فيما هي برفقة شخص آخر، فأخذت تركّز انتباهها على كلامه. لكن ذلك لم يكن سهلاً، لأنها وجدت نفسها تحاول دوماً أن تبعد صاحب ساندبنكس عن فكرها.

جالت بنظراتها في أنحاء المطعم وكأنها تتوقع أن يختار المطعم نفسه لتناول العشاء، لقد أكّد أنه سيتناول العشاء خارج المنزل الليلة. وتساءلت، بشيء من الاستياء، عما يجعله بحاجة إلى صديقة؟ كل ما عليه أن يفعله هو أن يخبر خالته أنه يريد مرافقة، فتمارس هذه هوايتها المفضلة وتعرّفه إلى فتاة عزباء.

ومع ذلك، وبما أنها ستمضي أسبوعين في ضيافته، أقل ما يمكنها أن تفعله لكي ترد له جميله، هو أن تلعب دور مرافقته التي لا تطمح للزواج منه.

ومجدداً، أبعدت هولدن عن أفكارها، وسألت دايڤيد: «بما أنك تتعرض للضغط في عملك، فهل تحب مهنتك كطبيب؟».

وعندما أخذ يخبرها عن عمله، حاولت جهدها كي تركّز انتباهها على حديثه.

أنهيا العشاء عند الساعة العاشرة والنصف، وحين اقترح دايڤيد أن يتمشيا في الأنحاء لبعض الوقت، رفضت جازلين. كانت تشعر نحو دايڤيد بالمودة، إنما أرادت العودة إلى المنزل.

ـ هل تمانع إذا لم نفعل؟ أريد أن أنهض باكراً في الغد لأخذ الكلب للنزهة قبل أن يصبح الجو حاراً.

اختلقت هذا العذر كي لا تجرح شعوره.

وعندما وصلا إلى المنزل بعد الحادية عشرة بقليل، رأت نوافذ عدة لا تزال مضاءة. نزل دايڤيد من السيارة، وكانت جازلين تنوي شكره على هذه السهرة الممتعة، وتوديعه، لكنها لم تجد الفرصة لذلك. إذ ما أن فتحت فمها

لتتكلم، حتى ظهر هولدن فجأة مع الكلب.

حيا مرافقها بلطف وهو يتقدم ليصافحه: «مرحباً، يا دايڤيد».

وعندما انحنت جازلين لتداعب الكلب، دعاه للدخول: «هل تود الدخول لاحتساء فنجان قهوة؟».

ـ هذا يسرّني.

قبل دايڤيد الدعوة، وبقيت جازلين مصعوقة.. لا بأس، إنه بيت هولدن، لكن من المفترض أن تدعو هي مرافقها لشرب فنجان قهوة أو لا تدعوه.

وعندما دخل الثلاثة، سألها هولدن بعفوية: «أين تناولتما العشاء؟».

ـ في مكان رائع في «أولدشيلينغ».

تبيّن أن هولدن دعاهما إلى المطبخ كما افترض أنها ستحضّر القهوة بنفسها. وما نفع الأصدقاء إذن؟ راحت تعدّ ثلاثة فناجين من القهوة فيما أخذ الرجلان يتحدثان عن المطاعم في قرية «هافرتن» ومحيطها.

قالت باسمة: «القهوة». وجلست إلى مائدة المطبخ حيث تحوّل ريمي باهتمامه نحو هولدن، وتشعّب الحديث ليصل إلى موضوع الهندسة في المجال الطبي.

وبعد خمس دقائق، تملّكها السأم من الرجلين والكلب، ولم تعد تحتمل، فتوجهت إلى الحوض تغسل فنجانها. وعندما توقّف الحديث للحظة قصيرة، قالت بعذوبة بالغة: «إذا لم يكن لديكما مانع، سأخلد إلى النوم».

وقف الرجلان على الفور، وسألها دايڤيد: «هل أنت مضطرة للذهاب الآن؟».

لا بد أنه يعتقد أن حديثه مع هولدن لم يستغرق سوى ثوانٍ.

قالت له وهي تبتعد عنه قليلاً كي لا يفكر في تقبيلها على خدها مودّعاً: «شكراً لك على هذه السهرة الجميلة».

ثم أضافت تخاطب هولدن دون أن تنظر إليه... فهو الذي دعا دايڤيد

إلى الدخول، وعليه أن يستضيفه ويكرمه: «هولدن.. لا أريد أن تصحو السيدة ويليامز لترى منظر الصحون القذرة في الحوض».

بعد ذلك رفعت نظرها إلى هولدن، فلم تر أي أثر لأوامرها عليه. لكن، إذا لم تكن مخطئة، رأت الضحك يتراقص في عينيه الرماديتين الجميلتين.

وقال موافقاً بلطف: «ولا أنا».

فقالت: «تصبحان على خير».

وسارعت إلى مغادرة المطبخ. ولشدة غضبها منهما، صعدت السلم ركضاً وهي تعترف بأنها، وبعد هذه السهرة الممتعة، تشعر بأن مزاجها منحرف كلياً.

* * *

٤ ـ المسموح . . . والممنوع!

لم تتعمد النهوض باكراً لكن وفاءً بعهدها ولكي تريح ضميرها، استيقظت مع بزوغ الفجر. وإذ لم تجد فائدة من البقاء في السرير، استحمّت ثم ارتدت بنطلون من الجينز وقميصاً أبيض، وخرجت بحثاً عن ريمي.

أخذ يهز ذيله حين رآها.

ـ هيا بنا، إذن.

ولم يكن بحاجة إلى مزيد من التشجيع.

سارت جازلين في الطريق نفسه الذي سلكته صباح الأمس. لكنها هذه المرة لم تلمح أي أثر لهولدن وهي عائدة. ولا يعني هذا أنها أرادت ذلك، لم تصدق أنها، منذ أربع وعشرين ساعة، امتثلت لتحريضه وقفزت إلى البحر بملابسها كاملة.

زمّت شفتيها، ثم عادت وابتسمت. لم تشأ أن تظهر روح النكتة عندها، لكن الأمر كان مضحكاً، وإذا ما أرادت أن تنظر إلى الجانب المضحك من الأمر، لضحكت على الطريقة التي تركت فيها هولدن مع دايڤيد يتحدثان وهما يرتشفان القهوة.

وتذكّرت كيف عاد هولدن من موعده قبلها في الليلة الماضية، وكيف أخذ ريمي لينزّهه، مما يدلّ على أن موعده لم يكن مهماً.

وبما أنها لم تنم جيداً، ولم يكن مزاجها مشرقاً عندما غادرت المنزل، شعرت بتحسن في نفسيتها عند عودتها. وأدركت حين دخلت إلى البيت أن

النزهة قد أفادتها.

تركها ريمي، واندفع نحو هولدن الذي كان ينزل السلم.

قالت له لأنها استيقظت قبله بساعة: «أطلت النوم اليوم!»

فردّ مداعباً مشيراً إلى أن ضميرها المثقل هو الذي أبقاها مستيقظة: «لأن ضميري مرتاح».

وحين اجتمعا عند أسفل السلم، أضاف: «أيقظيني في صباح الغد، إلا إذا كنت تفضلين أن تبقي وحيدة».

ـ ملابس السباحة هي التي لا تعجبني.

وضحكت وهي تصعد السلم، يبدو أن هذا النهار سيكون رائعاً.

توجّه ريمي نحو السيدة ويليامز بعد الفطور. وفيما ذهب إدوين بالمر مع غريس في السيارة وحمل هولدن بريده ودخل مكتبه، توجّهت جازلين إلى المطبخ لتعرض خدماتها على السيدة ويليامز. لكنها وجدت أن نانسي قد وصلت لتوّها من القرية، وبالتالي لم يكن هناك حاجة لخدماتها. فصعدت إلى غرفتها وغيّرت ثيابها، ثم حملت بيدها الدفتر وأدوات الرسم، وباليد الأخرى المظلة، وغادرت المنزل إلى مكانها المفضّل.

استقرّت في مجلسها، لكن دفتر التخطيط بقي خالياً من الرسوم. تناولت كتاباً أحضرته معها، فوجدت نفسها تعيد قراءة الفقرة نفسها مراراً وتكراراً. لم تكن تعلم إلى متى سيبقى هولدن هنا، وكم من الوقت يمكنه التغيّب عن عمله. إنما سرّها أنه في إجازة ولو أنه بقي في مكتبه في هذه اللحظة.

عندما مالت الشمس، نهضت لتعدّل من وضع المظلة، وفكرت في العودة إلى المنزل لإحضار ثوب السباحة، لكنها قاومت هذه الفكرة وعادت تركز على كتابها. وبعد عشر دقائق شعرت بقلبها يخفق بقوة عندما ظهر هولدن أمامها فجأة. كان يحمل بساطاً في يد، وزجاجة مرطبات وكأسين في الأخرى.

سألته وقد شعرت بعقدة غريبة تربط لسانها وبحاجتها إلى قول شيء ما: «من أذن لك بأن تغادر مكتبك؟».

ـ كنت واقفاً عند نافذة غرفتي حين رأيت من بعيد آنسة عطشى، ماذا تقرأين؟

أرته جازلين غلاف الكتاب وهي تقول: «إنه مشوّق».

مع أنها لم تنهي ثلاث صفحات في ثلاثة أرباع الساعة.

فقال: «لقد قرأته، كنت واثقاً من أن المراقب هو القاتل، لكن الفاعل هو...».

ـ إيّاك أن تكشف الفاعل!

ضحك هولدن، قال لها: «الرمال تغطيك، إنهضي».

يا له من رجل عنيف مستبد! لكنه يعجبها. وقفت، وانتظرت حتى فرش البساط، ثم عادت ترتاح عليه. وسكب لها كأساً وجلس بجانبها. بعد ذلك، قال: «لقد اتصل مسغروف».

ـ ليسأل عني؟

ـ طلبت منه أن يتصل لاحقاً. هل ستخرجين معه مرة أخرى؟

فقالت: «ألا تظن أنّ عليّ أن أنتظر حتى يدعوني؟».

ـ سيدعوك.

ـ سأنتظر إلى ذلك الحين.

وذكّرها قائلاً: «سيكون ترتيب ذلك الموعد اثنين من ثلاثة». فتذكرت أنها أخبرته أنها نادراً ما تخرج مع أي رجل أكثر من ثلاث مرات، فأجابت ضاحكة: «سأبقى هنا لمدة أسبوعين فقط».

واختار طير النورس هذه اللحظة ليحلّق فوق رأسيهما، فتحوّل الحديث إلى طيور النورس.

وأثناء الأيام القليلة التي تلت، خيّل إليها أنهما تناقشا في كافة المواضيع تحت الشمس. واعتادت أن تسبح مع هولدن عصر كل يوم، ولم يكن عليها

أن توقظه ليصطحبا ريمي في نزهته الصباحية الباكرة إذ نهض قبلها وارتدى ثيابه ثم جلس ينتظرها على كرسي أثري في فسحة السلم والكلب بجانبه.

خفق قلبها كما في الأمس عندما خرجت مع هولدن والكلب إلى الشاطىء، وسألها عن عملها وهواياتها. مثل هذا الحديث، يمكن أن يجري بين أي صديقين جديدين يتعرفان على بعضهما البعض، ولا يمكن أن يُفسّر بأكثر من ذلك.

كانت جازلين تشعر بالارتياح مع هولدن وبالاسترخاء والاطمئنان. وأحست أن بإمكانها أن تتحدث معه بأي موضوع، وهذا ما اعتادت أن تفعله. سألته عن عمله، أسفاره.. أرادت أن تعرف من هي صديقته التي خرج معها ليلة الثلاثاء، لكنها لم تسأله.

نظرت من نافذة غرفتها صباح يوم السبت، فرأت أن الطقس مشمس رائع. كان دايفيد قد اتصل بها في الأمس ودعاها للخروج معه، لكنها رفضت دعوته. حلّت العطلة الأسبوعية، لهذا تصوّرت أنه لن يتصل بها مجدداً قبل يوم الاثنين.

لن تضيّع جازلين الوقت سدى، فهي في إجازة وحرّة.. كما أنّ الجوّ رائع، فلِمَ الانتظار؟ وهكذا، أسرعت تغتسل وترتدي ملابسها ثم غادرت غرفتها.

أخذا يتمشيان، يتوقفان، ويتحدثان ويسرعان الخطى أحياناً.

ـ أليس هذا رائعاً ويبعث على السعادة؟

وتنهدت جازلين شاعرة بالارتياح وبالانسجام مع كل ما حولها.

ـ هل تستمتعين بإجازتك؟

سألته: «ألا يبدو هذا جلياً؟».

ودهشت حين توقف عن السير، وعندما توقفت بدورها، نظر إلى وجهها، وقال: «تبدين أقل توتراً مما كنت عليه عند قدومك».

بدا جدياً، ولم تكن تريده هكذا، بل أرادته صديقها الذي يضحكها.

وانتبهت إلى أنهما يشيران إلى تأثير توني جونستن عليها، لكنها شعرت أن هذا الأخير بعيد جداً عنها، وهي لا تريد ما يذكرها به.

أجابت مشرقة الوجه: «لم أعد متوترة أبداً».

راح هولدن يتأمل وجهها، واستقرت عيناه على عينيها البنفسجيتين الصافيتين، ثم انتقلتا إلى فمها الجميل، وإلى ذقنها وملامحها الرقيقة. قال: «أتعدينني بشيء؟».

بدا أكثر جديةً من ذي قبل، ولم تشأ أن تراه هكذا. لكن يبدو أنه لن يتراجع قبل أن تعده، فأجابت: «إذا أمكنني ذلك».

ـ عندما تعودين إلى بيتك، إذا عاود توني الاتصال بك، أو إذا وجدته ينتظرك في مكان ما، عديني بأن تتصلي بي كي أتصرف وأنهي الأمر.

أجفلت، ثم سألته: «لما لا أخبر أبي؟».

ـ مما رأيته حتى الساعة، أظنك ستتحملين أسابيع أخرى من الإزعاج قبل أن تخبري أباك.

وأدركت جازلين أنه على حق، ولكن، كم من الوقت سيحتاج توني قبل أن ينهكها مجدداً؟

يا له من رجل رقيق حنون! وقالت برقة: «لا أظنه سيتصل ثانية، فعلاً لا أظن ذلك».

فأصرّ قائلاً: «عديني».

ـ ولكن..

شرعت تحتجّ، فهذه مشكلتها هي وليست مشكلته.

ـ عديني!

كان شديد العناد، لكنه صديقها أيضاً: «أعدك».

أذعنت لأنها لم تجد حلاً آخر. ووقفت على رؤوس أصابعها، وطبعت قبلة على وجنته، ثم هتفت: «هل هذا مسموح بين الأصدقاء؟».

تسمّر هولدن للحظة طويلة.. طويلة جداً يحدق فيها. وفجأة انتابها

شعور غريب بأنه سيبادلها قبلتها هذه، لكنه لم يفعل. وبدلاً من ذلك، حوّل نظراته نحو البحر، ثم قال وقد غاب الجد عن نظراته: «سأعتبر حالتك هذه استثنائية، لكن لا تجعليها عادة».

لم تجد سوى أن تضحك، ثم عاودا السير.

وعندما عادا إلى البيت، صعدت جازلين إلى غرفتها لتبدل ملابسها قبل أن تنزل مجدداً لتناول الفطور.

دخلت إلى غرفة الطعام، وجالت بنظرها فيها لترى إن كان هولدن موجوداً، فنظر إليها هذا الأخير بمودّة.

ـ صباح الخير.

ألقت التحية بشكل عام، واكتشفت أنها وصلت وسط حديث عن الذهاب إلى السوق. ويبدو أن غريس والسيدة ويليامز قد وضعتا لائحة بالمشتريات.

قالت جازلين تداعب أباها لأنها تعرف أنه يكره التسوّق على أنواعه: «أبي يعشق التسوق في السوبر ماركت».

فقال إدوين بشهامة وقد شحب وجهه قليلاً: «من أجلك يا غريس، أنا مستعد لإلغاء جولة الرسم هذا الصباح».

فتدخل هولدن قائلاً: «لا حاجة لذلك، سأذهب أنا».

واستقرت عليه الأعين كلها، وقالت خالته ذاهلة: «لا يمكنك ذلك، ستعود بالمشتريات غير المناسبة».

كانت جازلين واثقة من أن غريس على حق، رغم اعتقادها بأن تنقّله في السوبر ماركت مع عربة المشتريات، أشبه بالإجازة مقارنة مع عمله الشاق. ووجدت نفسها تقول: «سأذهب معك، إذا شئت».

وقبل عرضها هذا على الفور، فقال بجفاء: «الحمد لله لأنك نطقت أخيراً».

وكي يصل قبل ازدحام السوبر ماركت، قررا الذهاب بعد الفطور

مباشرة، وعندما جلست بجانب هولدن في سيارته، وهما في طريقهما إلى أقرب مدينة، أدركت كم تشعر بالاطمئنان معه. واعترفت بأن هذه الإجازة أفضل إجازاتها، رغم أنها زارت أماكن أكثر جمالاً وروعة في ما مضى.

أخذت تتساءل عما إذا كان هولدن يستمتع بإجازته هو أيضاً، فخطر في بالها فجأة أنه قد يعود إلى العمل يوم الاثنين القادم. لقد قال نهار الاثنين الماضي إنه أخذ إجازة لبضعة أيام، وبما أنه يمضي معظم أوقاته في مكتبه... وشعرت فجأة بأنها تريد أن تعرف، فسألته: «هل ستعود إلى العمل يوم الإثنين».

ـ ما الذي جعلك تطرحين هذا السؤال الآن؟

فقالت تذكّره: «لأنك قلت إن إجازتك لبضعة أيام فقط».

ـ لما لا ترفعين عليّ العصا؟

فابتسمت وقالت بصراحة: «لأنني سأفتقدك على ما أظن».

فأجابها: «وأنا أيضاً استمتعت بصحبتك».

ودخل موقف السيارات بحثاً عن مكان لسيارته، ثم سألها: «هل أحضرت القائمة؟».

ـ أنت الذي أحضرتها معك.

ساورها شيء من الضيق. قال إنه استمتع بصحبتها، وكأنه يطلب منها أن تمرر له الملح على المائدة، رغم أن تعليقه هذا مجاملة. ولكن، ما الذي يجعله يجاملها؟ إنهما مجرد صديقين فلماذا يجاملها؟ تباً لمثل هذه الأفكار.

وعادت إلى جازلين حسن الفكاهة وهي ترى طريقة تسوّقه.

ـ من يعتني بك في لندن؟

لم تستطع منع نفسها من طرح هذا السؤال عليه وهي تعيد إلى الرف عدة علب من مربى المشمش لم تكن مسجلة في القائمة.

أجابها متحدياً إياها أن تناقشه: «أنا أعتني بنفسي».

لكنه أكمل يقول: «في المناسبات أتناول الطعام في الخارج».

في المناسبات فقط؟

ـ هل تريدين أن تشكوني لخالتي؟

ـ لا، ما دام سلوكك حسناً.

كانت سعيدة باعترافها. ثم رأت طفلاً حلواً في العربة مع والديه فلاعبته قائلة: «مرحباً، يا حبيبي».

سألها هولدن بعفوية وهما يتابعان التنقل: «هل تحبين الأطفال؟».

فأجابت بذهن شارد وهي تنظر إلى قائمة المشتريات: «ألا يحبهم كل إنسان؟».

ـ ومع ذلك... قررت ألا تتزوجي أبداً.

كلامه هذا جعل جازلين تنسى القائمة وترفع نظرها إليه، بدت ملامحه جادة. كان السوبر ماركت مزدحماً، لكن هولدن تمكّن من أن يدفع عربة المشتريات إلى مكان منعزل نسبياً.

وقررت أن تعطيه جواباً جاداً: «لأنني حتى الساعة لم أعثر على الرجل الذي أتمنى أن يكون والد طفلي».

شعرت أنها أجابت على هذا الموضوع بشكل مناسب، وعليها أن تكمل التسوّق الآن. لكن هولدن تابع بتلك اللهجة العفوية نفسها، قائلاً: «هذا يعني أنك تفتقرين للتجربة».

جمدت في مكانها وقد اتسعت عيناها الجميلتان بذهول. لا بأس، إنه صديقها. لكن أتراهما حقاً يناقشان موضوع حياتها الخاصة بين قسم اللحوم وقسم السلطات؟

بدا وكأنه غافل عن كل ما يحيط بهما عندما سألها: «هل لديك تجربة؟».

ورفضت أن تجيب، لكن حين رآها محصورة بينه وبين الجدار والعربة الممتلئة إلى ثلثيها، تراجع قليلاً وسألها: «يا.. يا جازلين الحلوة.. هل أفهم من صمتك أنك لا زلت طفلة بريئة؟».

شعرت بأنها تريد أن تضربه.. لكنهما في السوبر ماركت، حتى وإن نسي ذلك.

قالت له بحدة: «هناك من ستفشي لك أسرارها، لكنني لن أفعل».

وإذا به يبتسم ابتسامة عريضة، ويقول برقة بالغة: «يا لك من فتاة محافظة حلوة».

فقالت بصوت كالفحيح: «ستسبّب لنفسك بلكمة تسوّد عينك».

توقف عن الابتسام، وحدّق في فمها للحظة ثم أخذ بعدها يدفع العربة أمامه قائلاً: «اللحمة».

وتركها تسير في أثره متثاقلة.

يا له من رجل حقير! لم تعد تريده صديقاً لها. فقد سخر منها عندما كشفت له، وبعد إصراره أنها ما زالت عذراء.

عندما وصلا إلى الصندوق، لم تكن جازلين تشعر بأية مودة نحوه. لكنها اضطرت إلى الوقوف إلى جانبه لتوضّب المشتريات في الأكياس. وأخرجت بطاقة اعتمادها لكي تدفع الحساب، فزاد من غيظها بأن أعادها إليها مصراً على أن يدفع الحساب بنفسه.

فقالت بشراسة: «معجون الأسنان لم يكن وارداً على قائمة غريس».

ـ اسمحي لي بدفع ثمنه فقد أرى تألق ابتسامتك الحلوة.

وفيما ابتسمت المحاسبة لظرفه، وجدت جازلين مشقة في عدم إظهار أسنانها.

وشعرت بروح النكتة عندما تظهر عندما دفعا العربة المحملة بالمشتريات إلى السيارة. لم تشأ أن يؤثر ظرفه عليها. لا، لم تشأ ذلك، لكنها أقرت لنفسها، بأن تأثيره عليها حقيقة واقعة.

وضعا المشتريات في السيارة، وأعاد العربة إلى مكانها، ثم استقلاّ السيارة. وبدلاً من أن يدير هولدن المحرك، التفت إليها يسألها: «أما زلت غاضبة مني؟».

نظرت إليه وأجابته برزانة: «إذا رغبت في الحديث عن حياتي الخاصة ثانية، أرجو أن تختار مكاناً آخر غير السوبر ماركت المزدحم يوم السبت».

ـ إنها دعوة إذن.

لكن ملامحه بدت جادة عندما سألها: «هل ستصفحين عني، يا جازلين؟».

وهل بإمكانها أن تقاومه وهي تشعر نحوه بكل هذه المودة؟

ـ أنت تعلم أنني سأصفح عنك.

عاد يتأملها لثوانٍ أخرى، ثم راح قلبها يخفق بسرعة عندما دنا منها. ظنّت أنه سيعانقها، وكانت تعلم أنّ عليها أن تبتعد عنه، لكنها ولسبب ما، تسمّرت في مكانها. وبعد لحظة، اكتشفت أن لا حاجة بها للابتعاد عنه إذ لم يقبّل سوى خدها.

سألته متحدية تذكّره بما قاله سابقاً عن القبلة: «حسناً، من الذي اتخذها عادة؟».

لكن صوتها بدا أجش لا يماثل صوتها العادي، وأدركت أن لهذا الصديق تأثير بالغ الغرابة عليها.

عادا إلى البيت بصمت، ودهشت جازلين لرؤية سيارة والدها، فهتفت: «ظننتهما قد خرجا للرسم منذ أجيال».

وتوجهت إلى صندوق السيارة لتساعد هولدن على إفراغ المشتريات، لكنهما لم يخرجا سوى كيس واحد عندما ظهرت غريس يتبعها والد جازلين، وقالت غريس دون مقدمات: «آرشي مريض، كنا على وشك الخروج عندما اتصل بي جاره».

وآرشي هو زوج غريس السابق العابث، الذي اعتاد أن يتصل بها كلما وقع في مشكلة.

أخذت جازلين تنظر إلى أبيها، في حين استوعب هولدن ما قالته خالته على الفور، وقال لها: «سآخذك إليه».

فقال إدوين بالمر: «لقد سبق ورتبنا الأمر، سآخذ أنا غريس».

ولاحظت جازلين أن احترام هولدن لأبيها قد ازداد لأنه، ومن أجل غريس، بدا مستعداً لتجاوز كراهيته لذلك الرجل الذي تسبب بشقائها لسنوات. وسمعت أباها يضيف: «كنا ننتظر عودتكما».

ثم التفت إدوين إلى ابنته متابعاً: «لا أدري ما الوضع هناك، لكنني سآخذ ريمي معي».

وبعد خمس دقائق، انطلق إدوين وغريس في طريقهما.

سألها هولدن عندما توارت السيارة وراء المنعطف: «ما رأيك بالآيس كريم الذائب؟».

هتفت وقد نسيت المشتريات كلياً: «يا إلهي».

وأمضيا نصف ساعة في نقل الأكياس إلى الداخل وترتيب المشتريات في أماكنها. بدا واضحاً أن هولدن يعرف مكان كل غرض في البيت. وعندما انتهيا، سألها: «قهوة؟».

ـ سأحضرها بنفسي.

فتركها تفعل. وسألته: «هل أحضر فنجاناً للسيدة ويليامز؟».

لم ترَ مدبرة المنزل منذ عودتهما، لكنها لم تشأ أن تحرمها من متعة الاستراحة مع فنجان قهوة.

ـ ليست موجودة. إنها تزور أختها فقد منحتها إجازة في نهاية الأسبوع.

فهتفت دون تفكير: «آه، هذا حسن!»

وتداركت الأمر، وأضافت: «أنا لم أكن أعني أن هذا حسن لأن...».

فقاطعها بلطف: «أعرف ما تعنين. تعنين أن هذا حسن لأنها تستحق استراحة بعد خدمتنا طوال هذا الأسبوع».

ـ أصبحت تعرفني.

نظر هولدن إليها لثوانٍ طويلة، ثم قال بهدوء: «نعم هذا صحيح، أنت فتاة رائعة، يا جازلين».

بدا وكأن أنفاسها قد انقطعت. أرادت أن يكون رأيه بها إيجابياً، وتساءلت لماذا أدهشها ذلك. فكل إنسان يريد أن يترك انطباعاً حسناً على الناس، فلما تريد أن يكون رأي هولدن دون سواه بها إيجابياً؟

لديه بعض التأثير عليها، كانت تعلم ذلك، لكنها حاولت أن تنكره.

ـ إذا كنت تقول هذا لأرد لك المديح، فانس ذلك. لن أعفيك من طهي العشاء الليلة.

ضحك هولدن، وبدا لها رائعاً. لم تشأ أن يتخاصما، لكن عندما تلاشت ضحكته فجأة، أحست بشيء من التوتر في الجو. كان يحدق فيها، متأملاً تفاصيل ملامحها كلها. وطرفت بعينيها، فكل هذا محض خيال، لأن هولدن مدّ يده حالما سكبت القهوة ليأخذ فنجانه، وقال: «سآخذ فنجاني إلى المكتب».

ورأت جازلين أنّ عليها ألاّ تستاء، إذا ما فضّل هولدن أن يشرب قهوته في مكتبه على أن يجلس معها. لأن الأصدقاء يمكنهم أن يتصرفوا على هذا النحو، ثم، ألم يقل لها إنها فتاة رائعة؟ فما الذي يدعوها إلى الاستياء؟

على أيّ حال، اعتاد هولدن أن يمضي قسماً كبيراً من الصباح في مكتبه. وبالرغم من أن اليوم هو يوم السبت، إلا أنها لا تعتقد أنه أصبح عضواً في مجلس إدارة مؤسسة «زورنك» بالعمل من الإثنين إلى الجمعة كالموظفين العاديين.

وبما أن هولدن أمضى اليوم ساعتين في التسوق، استنتجت جازلين أنه يريد أن يعوّضهما الآن.

قررت أن تخرج لتتمشى على الشاطىء، فلا شك أن غريس وأباها لم يصلا بعد إلى مقصدهما، وسيكون هولدن في البيت إذا ما اتصلا.

لم تبتعد كثيراً، فقد شعرت بعدم الارتياح والقلق. وهكذا، عادت إلى البيت ودخلت المطبخ. وضعت في الفرن بعض الأرغفة لتسخّنها ثم أخذت تحضر السلطة للغداء فشعرت بالتحسن.

ـ يا لها من رائحة زكية.

لم تسمع هولدن يقترب، فأجفلت عندما رفعت رأسها ورأته واقفاً عند العتبة.

قالت: «لا تدع الآمال تتملكك، إنه مجرد خبز».

علمت أنها ستضطر إلى تحضير العشاء بنفسها، لكنها لم تشأ إطلاعه على هذا السرّ الصغير.

ـ أتحتاجين للمساعدة؟

ـ كدت أنتهي.

ـ هل نأكل هنا؟

ـ لما لا؟

استمتعت جازلين بالأكل مع هولدن. رفعا الأطباق ورتبا المطبخ معاً، وقد تملّكها السرور لعودة الهدوء إلى نفسها.

سألته وهي تفكر في الساعتين اللتين أمضاهما في التسوّق: «هل ستعود إلى مكتبك؟».

فقال يذكّرها: «سبق وقلت لك أن ترفعي العصا».

وعند ذلك رن جرس الهاتف فتناول سماعة هاتف المطبخ. لو كانت المكالمة خاصة لخرجت، لكنها خمّنت أن المتصل هو غريس وجاء تخمينها في محله. سمعت هولدن يقول: «استأجري ممرضة، حسناً، لا تنهكي نفسك، تعلمين أنك لا تدينين له بشيء».

وفهمت جازلين من حديثه أن آرشي مريض إلى حد يلزمه معه ممرضة.

ـ جازلين هنا.

ناولها هولدن السماعة، فتلامست أصابعهما مما جعل القشعريرة تسري في عروقها. لكنها تمالكت نفسها وقالت: «مرحباً غريس، كيف حال الأمور عندكم؟».

ـ كان الطبيب هنا، وآرشي مصاب بأنفلونزا حادة.

ـ آه، أنا آسفة.

كانت تعلم أن الأنفلونزا قد تكون خطيرة بالنسبة لكبار السن.

ـ وأنا آسفة أيضاً لأن آرشي يصبح صعب الإرضاء أثناء المرض. على أيّ حال، لا يمكنني أن أتركه وحده.

ـ كلا طبعاً.

لم يكن يستحق أن تعتني به امرأة طيبة كغريس. لكن جازلين أدركت أن غريس ليست بالمرأة التي تعلن استسلامها. وشرعت تقول: «هل أبي...».

فردت غريس بلطف: «إنه رائع، لم أعرف قيمته الحقيقية إلا الآن. إنه يجيد رعاية المرضى في حين أن آرشي يكره ذلك. هل تريدين التحدث إليه؟».

وقبل أن تجيب تابعت غريس: «سأناديه، إنه مع آرشي يساعده على ارتداء ثياب نوم نظيفة».

ساد الصمت للحظة، سمعت بعدها صوت أبيها: «هل أنت بخير يا جازلين؟».

ـ بألف خير، كل ما يهمني هو أنت.

ـ لا تهتمي، لقد خسرنا إجازتنا على ما يبدو. لكن ليس باليد حيلة، لأن غريس لن تتحمل شعورها بالذنب إذا تركت آرشي في حالته الحاضرة.

ـ أتعني أنك لن تعود إلى هنا؟

ـ هذا غير محتمل. لأن الأنفلونزا، تدوم لأسابيع وأسابيع. هل يمكنك العودة إلى البيت بمفردك؟ ربما بإمكان هولدن أن يوصلك.

فردّت جازلين بمرح: «لديك ما يكفيك من الهموم الآن».

ووضعت السماعة وقد أدركت أن إجازتها قد انتهت هي أيضاً.. ودون رغبة منها.

وقالت فجأة بعد أن انتبهت إلى أن هولدن يقف قربها: «أبي يساعد في

العناية بالمريض».

ـ هذا ما قالته غريس، لِـمَ أنت مكتئبة بهذا الشكل؟

طرح سؤاله هذا بدهاء، فأجابت: «لا عجب في أنك عضو في مجلس إدارة «زورتك»».

ـ أنا واثق من أن كلامك يحمل مديحاً بشكل ما.

لكنه عاد يقول بإصرار: «ما الذي يزعجك؟».

سيعلم، على أيّ حال، فقالت: «أظن أنه من الأفضل أن أعود إلى بيتنا».

وكانت على وشك أن تضيف أنها أمضت وقتاً ممتعاً في ضيافته عندما لاحظت أن إمارات المزاح قد تلاشت عن ملامحه، وقال بحدة: «ظننت أننا تحدثنا في هذا الموضوع من قبل».

فقالت بنفس الحدة: «حسناً، أعذرني إذا ما عدت إليه مرة أخرى».

ـ هل أنت تعيسة هنا؟

ـ أنت تعلم أن هذا غير صحيح!

ـ هل جرحتك بشكل ما؟

فتلاشت حدة طبعها وقالت بلطف: «أنت تعلم أنك لم تفعل».

ـ لماذا تعاقبينني إذن؟

فنظرت إليه غير مصدقة، وسألت: «أعاقبك؟».

فتابع يقول مؤكداً: «نعم، تعاقبينني، اليوم بالذات ذكرت كم خف توترك.. ليس لديك أدنى فكرة كم أراحني هذا.. أن أرتاح برفقة فتاة غير معقّدة».

لم تعجب جازلين كلمة غير معقدة هذه، لكن كلامه جعلها تشعر بالتحسن إذ لم تستطع أن تنكر أن هذه الإجازة أفادت هولدن بقدر ما أفادتها، وأنها لعبت دوراً في ذلك. فسألته: «هل.. تريدني أن أبقى؟».

أومأ برأسه وهو يتفرس فيها وقد بدا عليه الارتياح، ثم سألها: «ومن

سيأكل إذن كل الطعام الذي اشتريناه هذا الصباح؟».

ـ ومن الذي سيطهيه أيضاً؟

لم تستطع إلاّ أن تضحك. كانت تعلم أنها ضعيفة، وأن سبب وجودها هنا هو أن غريس خالته. ولكن السبب الأهم لذلك، هو في الحقيقة أنها لا تريد الرحيل.

* * *

٥ ـ الصديقة المستبدة

وكما توقعت جازلين، لم يكن هولدن يحسن إشعال الموقد، كما لم يكن لديه أيّ فكرة عن الطهي عليه. تجوّلت حول القرية عصر ذلك اليوم، سارت بخطوات متمهلة في الماء الضحل عائدة إلى البيت، وكانت الساعة قد قاربت السادسة والنصف. وبعد أن اغتسلت وارتدت بنطلوناً أبيض وقميصاً، اتجهت إلى المطبخ فصادفت هولدن الذي يبحث عنها.

ـ هل يمكنني أن أساعدك بشيء؟

ـ هوذا رجل يشعر، ولأول مرة، بأن تحضير الطعام للساعة السابعة والنصف مشكلة.

نظر إليها برزانة، ثم ما لبث أن ابتسم ابتسامة عريضة، كانت جازلين واثقة من أنها حطمت قلوب كثيرات واعترفت بأن قلبها هي أيضاً أخذ يخفق بجنون.

قال ملاطفاً: «تابعي ما تفعلينه.. يا جاز».

فانفجرت بالضحك، وقالت آمرة: «تعال معي. سأعلّمك كيف تقشّر البطاطا».

دهشت وهي تراه تلميذاً متحمساً، لكن، وبسبب بطئه في مهمته الجديدة، ولأنها أرادت أن تسلق البطاطا، أحضرت سكيناً آخر ووقفت قربه عند الحوض.

إنما ما لبثت أن تساءلت عما إذا كان ذلك فكرة حسنة. تلامست

أيديهما تحت الماء، فأبعدت يديها المرتعشتين، وهي تشعر بشيء من الإنزعاج. نظر إليها بعينين رزينتين حساستين بدتا وكأنهما تخترقان أعماقها، وتحاولان فهم ما أزعجها.

حوّلت جازلين نظراتها عنه، ثم غسلت يديها وهي تقول باختصار: «هذا الحوض لا يتسع لكلينا. على أيّ حال، أنت كبير وتستطيع أن تقوم بالعمل وحدك».

فقال يتهمها مازحاً: «مستبدة».

عندما شرعا بتناول الطعام، كانت جازلين قد تمالكت نفسها وأضحت مستعدة للاستخفاف بفكرة أن هولدن يؤثر فيها بأي شكل. فهو لا يزال كما عرفته.. طيّب الصحبة، يمكنه التحدّث في أيّ موضوع، سهل المعشر.. كان في الواقع.. صديقاً.

فلماذا إذن، عندما تركته وصعدت إلى غرفتها أخذت تشعر بالتململ وعدم الإرتياح؟ شعرت وكأنها تريد العودة إليه. رباه، لا بد أن الشمس قد أثّرت على رأسها.

طردت هذه الأفكار السخيفة من ذهنها، لتستيقظ في صباح اليوم التالي مبكرة. وبالرغم من أن الكلب ليس هنا، إلاّ أنها لم تجد سبباً يمنعها من الإستمتاع بنزهة على الشاطىء قبل الفطور.

اعترفت بسرورها بصحبة هولدن حين رأته ينتظرها عند أسفل السلم. وسألها وهما ينزلان الدرجات: «هل قررت اتباع برنامجك المعتاد قبل اشتداد الحرارة؟».

ـ وهل تقوم بهذه النزهة المبكرة كثيراً، عندما تكون في إجازة؟.

فأجاب: «دوماً، لا سيما يوم الأحد».

مشكلة الإجازات أنها تنسي المرء الأيام. وأدركت أن اليوم هو الأحد، رغم أنه كان يمازحها حين قال إنه يخرج باكراً ليتنزه، وقالت تتهمه: «كاذب».

فقال بشهامة وكأنها لم تتهمه بشيء: «ولكن ليس مع مثل هذه الصحبة الرائعة».

وعندما زمّت شفتيها هازئة، ضحك وبدت الرقة على وجهه.

ساورها شعور بأن هولدن يستمتع بهذه النزهة مثلها تماماً. وعندما عادا إلى البيت صعدت إلى غرفتها، وغيّرت حذاءها ثم نزلت إلى المطبخ لتحضير الفطور. اكتشفت أنه يجيد تحميص الخبز، وأن المائدة جاهزة، والفطور ينتظرها. كما وجدته يضع بيضة مقلية على خبز مدهون بالزبدة.

ـ هل تحبين البيض المقلي على الخبز المحمص، يا سيدتي؟

فقالت بكبرياء: «شكراً يا سيدي».

وعندما التفتت إليه رأت تشنجاً لاإرادياً لم تفهمه يمرّ بملامحه للحظة قبل أن يشيح بوجهه عنها. وسألته: «هل ستحضر السيدة ويليامز هذا المساء؟».

فهز رأسه، وأجاب: «سأحضرها من المحطة غداً صباحاً».

غداً يوم الإثنين. وسألته بدهشة: «ألن تذهب إلى العمل؟».

فأجاب: «ما زلت في إجازة لبعض الوقت».

وقبل أن تجد الفرصة لتفكر في كلامه، قال يعرض عليها: «يمكننا تناول العشاء في الخارج إذا فضّلت ألاّ تحضّري العشاء».

ـ أتظنني سأعفيك من أعمال المطبخ بهذه السهولة؟

وبعد ذلك بساعة، لبست ثوب السباحة، وحملت معها البساط والمظلة واتجهت نحو كثبان الرمال، فيما أغلق هولدن باب مكتبه عليه.

أخذت جازلين تتساءل عما جعلها ترفض دعوته على العشاء، هل هو من باب العناد، ليس إلاّ؟ لا شك في أنها ستستمتع جداً بتناول العشاء معه خارج البيت، فلماذا رفضت إذن؟ وعاد إليها الشعور بالتململ والضيق، لكنها لم تستطع أن تفهم ماذا يجري لها، فهذا لا يُعد موعداً. إن الخروج مع صديق لا يُعدّ موعداً، بل هو تصرف مناسب تمليه الضرورة. ففي الواقع،

عليها أن تحضّر العشاء، وأراد هولدن أن يعفيها من هذه المشقة وحسب.

وعادت جازلين إلى البيت، فلبست تنورة ثم حضّرت غداءً خفيفاً يقتصر على السلطة لأن الطقس كان حاراً، ولم تشعر برغبة في الطهي، أو في الأكل.

عندما أصبح الطعام جاهزاً، توجهت إلى مكتب هولدن. دقت الباب، ودخلت لتراه جالساً إلى مكتب ضخم وأمامه بعض الأوراق. رفع بصره.. ولم يعجبها أن تراه يعمل يومياً.

ـ هل أنت مضطر للعمل يومياً؟

خرجت هذه الكلمات من فمها قبل أن تتمكّن من منعها، واضطربت حين عكست اهتماماً بالغاً.

ظنّت أنه سيسخر منها، لكنه لم يفعل. وبدلاً من ذلك بدا عليه التفكير الجاد وهو يجيب بعد حين: «إذا كان هذا يكدرك، فلن أفعله».

يكدرها؟ كلام فارغ، فقالت بجفاء: «سأتغلب على ذلك!»

ثم أضافت: «سلطتك قد ذبلت».

تركته، ولم تأبه إن لحق بها أم لم يفعل.

شعرت، أثناء الغداء بوخز في داخلها، إذ راحت تتصرف خلافاً لطبيعتها. وكي لا تفرض عليه رفقتها، رفضت دعوته إلى السباحة حين اقترح عليها ذلك بعد الغداء.

وفي وقت لاحق، في غرفتها، أخذت تفكر في هذه الإجازة التي بدأتها منهكة، ومتوترة جداً، لتصل الآن إلى الاسترخاء التام... هذه الإجازة التي أصبحت هي وهولدن، صديقين خلالها.. هذه الصداقة التي استمتعت بها.. ومع ذلك، ها هي تتعمّد تجنّب صحبته، سواء على العشاء في الخارج أو في السباحة معاً.

تركت غرفتها ونزلت إلى الطابق السفلي لكي تعدّ بنفسها البطاطا للطبخ. وما كادت تصل إلى المطبخ حتى رأت من النافذة هولدن قادماً إلى

البيت، وتكهّنت بأنه ذهب للسباحة. حسناً، لقد أضرت نفسها لكي تغيظه.

رباه، ما الذي جعلها تفكر في هذا كله؟ ورن جرس الهاتف، فنقّلت نظراتها بينه وبين هولدن، واستنتجت أن هذا الأخير لن يصل إلى البيت قبل دقائق، فإذا لم ترفع السماعة قد يفوتها التحدّث إلى أبيها أو غريس. ورفعت السماعة: «آلو..؟».

عندها اكتشفت أن المتصل ليس أباها أو غريس إنما شخص يريدها أن تخرج معه، هي التي رفضت للتو عرض هولدن.

ـ أنا لا أعمل مساء الغد، ولا أدري إن كنت مشغولة.

كان المتصل دايڤيد مسغروف.

لقد سبق ورفضت دعوته مرة فشعرت ببعض الإحراج.

كانت تعلم أن دايڤيد يعمل في العطلة الأسبوعية، ولم يخطر في بالها أبداً أنه قد يتصل بها، لذا لم تعدّ عذراً مسبقاً وأجابت: «في الحقيقة، أنا مشغولة».

ـ هل أنت ذاهبة إلى مكان ما؟

طرح سؤاله هذا مظهراً أنه ليس من السهل إجابته بالرفض للمرة الثانية.

راحت جازلين تبحث عن طريقة تخبره بها بأنها غير مستعدة للخروج معه ثانية، عندما نظرت من النافذة. كان هولدن يقترب من البيت، ثم سمعت دايڤيد يفسر سكوتها على طريقته، إذ سألها: «هل لديك موعد آخر؟».

ـ حسناً...

وقبل أن تجيب بالنفي، كان دايڤيد قد توصّل إلى استنتاج ثانٍ سريع، فسألها: «ليس.. هولدن هاتاواي بالطبع؟».

أزعجها تعليقه هذا بعض الشيء، وكأنه يستبعد أن يتنازل هولدن

ويدعوها للخروج معه، لهذا، أجابته: «لقد طلب مني الخروج معه، في الواقع».

ـ وهل سبق أن خرجت معه من قبل؟

ما هذا السؤال؟ ومع ذلك، افترضت أن ذلك العشاء مع هولدن في لندن يشكّل موعداً، فأجابت: «حسناً، نعم».

وتملّكها الذهول حين توصّل دايڤيد إلى استنتاج آخر سريع وخاطىء: «أنت إذن حبيبته؟».

وكان هذا استنتاجاً أكثر منه سؤالاً، وفتحت فمها لتنكر، إلا أن الكلمات لم تخرج منه. وعاد يقول، بشيء من الشراسة: «هل أشكرك أنت على خروجك معي نهار الثلاثاء الماضي أم أشكر هولدن هاتاواي؟».

ذهلت وهي تسمع نفسها تجيبه: «لم يكن بيننا، حينذاك، أيّ شيء جدي».

ـ لكن حدث ذلك لاحقاً؟

وانتظر جوابها. ظنت أنه سينهي المخابرة غاضباً قبل الآن بوقت طويل، وتذكرت فجأة إلحاح توني جونستن، واتصالاته المتكررة فتملكها الذعر على الفور، وأجابت: «نعم».

واختلط ذعرها بذكرى مشوّشة لكلمات هولدن حين طلب منها أن تدعه يعالج الأمر. ولكي تحبُك كذبتها جيداً، سمعت نفسها تقول له: «أنا وهولدن.. على علاقة جدية».

ـ وهذا يستبعدني!

تقبّل دايڤيد كلامها هذا بعد أن قيّم الوضع، وأضاف: «أتمنى لك السعادة، يا جازلين».

وقبل أن تتمكن من التراجع عن كذبتها أقفل الخط.

بدأت تشعر بفظاعة ما أقدمت عليه عندما رأت هولدن يتقدم نحو الباب الامامي. غريزياً، ودون طول تفكير، هربت من المطبخ إلى الردهة

ومن ثم صعدت السلم، بعد أن شعرت أنها غير مستعدة لرؤيته ومواجهته.

كانت على وشك دخول غرفتها عندما سمعت وقع خطواته.. ولم يرها. ظنت أنها سمعته يدخل المطبخ، وتوقعت أن يصعد ليستحم بعد السباحة. لكنها لم تنتظر لتسمع المزيد.

وفي لمح البصر دخلت إلى غرفتها وأغلقت الباب خلفها، وقد تملّكها الذعر لهول ما فعلت.

رباه، إنها قرية هولدن! وقد أخبرها بكل وضوح أنه لا يريد أن تربطه أي علاقة جدية بفتاة، فما الذي فعلته هي؟، لقد أخبرت شخصاً يعرف أصدقاء هولدن، بأنها على علاقة جدية به.

قد لا يخبر دايڤيد أحداً. ولما سيذيع الخبر؟ لأن هولدن شخصية هامة، وأصدقاؤه سيهمهم مثل هذه الأخبار. أشهر عازب يقع في الفخ! العازب الشهير.. وجمحت مخيلتها، لا تقف عند حدود.

عليها أن تتصل بدايڤيد، وأخذت تتجاذبها المخاوف. لا يمكنها ذلك! آه، يا لخزيها! قد يدعوها مجدداً للخروج معه، وهي لا تريد ذلك، إنه طبيب ولعله لن يخبر أحداً. الطبيب هو المؤتمن على سرّ مريضه! لكنها ليست مريضته. رباه، ماذا تفعل؟

أخذت تذرع غرفتها جيئة وذهاباً، لكن بعد فترة، شعرت وكأن الجدران تحاصرها. ترددت... وفي لحظة من الشجاعة، عادت إلى المطبخ. جلست وحيدة في المطبخ، لكن اضطرابها منعها من التفكير في تقشير البطاطا. يمكنهما أن يأكلا المعجنات. وتوجهت إلى النافذة تنظر منها إلى الخارج. تملكها الاضطراب وجعلها غافلة عما يحيط بها، وانحصر تفكيرها في ضرورة إعادة الاتصال بدايڤيد لتخبره عن كذبتها. وفجأة، سمعت وقع خطوات خلفها في المطبخ فاستدارت. حدّق هولدن في وجهها ثم سألها بسرعة: «ماذا حدث؟».

لم تستطع الرد، فتقدّم نحوها بسرعة وهو يتفرس في وجهها. عندها،

سألته بصوت أجش: «ماذا حدث؟».

كانت تعلم أنها تراوغ لبعض الوقت.

- إجلسي، يبدو عليك القنوط.

فهمست: «هل.. هل يبدو عليّ ذلك؟».

- أنت شاحبة جداً!

وسحب كرسياً من أمام المائدة، ثم سار إليها ليمسك بذراعها، لكنها ابتعدت عنه.

لم تشأ أن تجلس، لم تشأ أن تقبل عطفه، لأنها أدركت فجأة ضرورة أن تتصل بدايڤيد، وأن تعترف لهولدن بالحقيقة أيضاً.

لم تشأ أن تعترف. لا سبيل إلى إخباره بما فعلت، لكنها تعلم تماماً أن كرامتها تلزمها بإعلامه، فلعل دايڤيد أخبر شخصاً ما بما روته له. عند ذلك قالت بسرعة: «لقد فعلت شيئاً فظيعاً!».

نظر إليها بثبات، وقال بهدوء: «لا يمكن أن تكون فعلتك بهذا السوء. اجلسي واخبريني».

قالت وهي تهز رأسها: «ستكرهني».

فردّ باسماً: «أشك في ذلك. الأمر يتعلق بي إذن؟».

إنها تعشق ابتسامته هذه. وقالت بتعاسة: «أواه، يا هولدن. لا أدري كيف أخبرك بما فعلت».

- ما دمت لا أرى قتيلاً ممدداً على الأرض، فليس هناك ما يستوجب هذا الفزع كله منك.

أخذ يهدّئها مظهراً تفهماً كاملاً. لكنها أدركت أنها لا تضمن استمرار هذا التفهم حين يعرف بأمر كذبتها. وسارعت تقول: «لكنني طبعاً سأتصل بدايڤيد وأصحح الأمور».

ونسيت أن هولدن لا يملك أيّ فكرة عن الموضوع، وعن ضلوع دايڤيد فيه. لكنها لاحظت أن بعض التفهم قد تبدّد عن ملامحه عند ذكرها اسم

دايڤيد، وسألها برزانة: «دايڤيد مسغروف؟ وما دخله في الأمر؟».

فقالت: «ربما من الأفضل أن تجلس».

وشعرت فجأة بالاضطراب والتململ، لا سيما عندما لم يجلس هولدن.

فأضافت: «هل تتذكر حين دعوتني إلى تلك الحفلة في لندن؟».

فردّ دون أن تتحوّل عيناه عن وجهها: «أتذكّر ذلك».

ـ حسناً، تعلم أنك لم تصطحبني إلاّ لتتجنب... امرأة لم تشأ أن تجرحها.. حسناً..».

سكتت وهي تبتلع بريقها دون أن تستطيع إكمال حديثها.

فسألها: «حسناً؟».

ولم تشعر بأي تحسن لعودة التفهم إلى ملامحه.

ـ حسناً، اتصل دايڤيد مسغروف منذ بعض الوقت وسألني إن كنت مشغولة مساء الغد.

تباً لذلك.. نظرة التفهم في عيني هولدن تلاشت بسرعة.

ـ وهل قلت له إنك مشغولة؟

أغاظها ذلك. من يظن نفسه؟ وأوشكت أن تقول له أن يهتم بشؤونه، لكنها سرعان ما تذكّرت أن الموضوع يعنيه هو.

ـ قلت له إن لا وقت لديّ لأنني...

رباه.. وأحست بحرارة جسمها ترتفع.

ـ لأنك؟

أدركت أنه صبور جداً، وقد فارقت عينيه تلك النظرة العدائية المؤقتة.. رغم علمها بأنها ستعود.. وبقوة.. عندما تخبره ببقية القصة.

ـ لأنني.. حسناً، لا أعرف كيف حدث ذلك، ولكن.. لكنني لم أكن مستعدة للخروج معه ثانية. فأخذ دايڤيد يلحّ عليّ لأخبره بما أنا مشغولة.. وإذا به يأتي على ذكرك.. ويسأل عما إذا خرجت معك من قبل وما أشبه.. عند ذلك بدأ الأمر يختلط عليّ. وبعدها..

ولم تستطع أن تواجه عينيه وهي تأخذ نفساً عميقاً لكي تخبره بما حدث. أشاحت بوجهها وسارت نحو النافذة لتنظر إلى الخارج بعينين لا تريان، ثم قالت متلعثمة: «ثم.. ثم ما أذكره بعد ذلك أنني فكرت في توني جونستن وكيف أصبح يلحّ عليّ عندما لم أخرج معه. ورحت أفكر في أن دايڤيد قد يتصرف مثله، فخفت كثيراً. على أيّ حال..».

رباه، ليت هناك طريقة أخرى لإخباره، وأضافت: «أخبرته...».

وسكتت ثم أخذت نفساً طويلاً، واندفعت تكمل: «أخبرته بأن هناك.. هناك شيئاً ما بيني وبينك، وأن...».

وأخذ صوتها يتلاشى.. لكنها تمكّنت من أن تقول: «أن علاقتنا جديّة».

ها قد اعترفت له.. وتمنت لو تُشقّ الأرض وتبتلعها. أن تخبر دايڤيد بذلك.. وهو الذي يعيش في المجتمع نفسه مع هولدن.. فظاعة فعلتها كادت تقتلها. لكن أن تعترف بذنبها لهولدن، هذا الرجل المحنك.. الرجل الذي يمكنه أن يحصل على أي امرأة يريدها... وأوشك الشعور بالخزي والعار أن يقضي عليها.

وقفت جامدة، مكتّفة اليدين، تنتظر أن يصبّ عليها جام غضبه. لكن هذا لم يحدث!

أحست به يتحرك، وكادت تقفز مجفلة عندما تقدم نحوها ووقف خلفها مباشرة ثم وضع يديه على كتفيها.

لم تشأ جازلين أن تواجهه، لم تشأ أن تنظر في عينيه. لكن لم يكن أمامها خيار آخر، لأنه أدارها نحوه لتواجهه. رفضت أن ترفع بصرها إليه، وسمّرت نظراتها على زر قميصه الذي بدا لها في تلك اللحظة بالغ الأهمية. وعندما تكلم، كادت تنهار، إذ انساب صوته رقيقاً عذباً: «وما فائدة الأصدقاء إذن، يا عزيزتي؟».

رفعت رأسها بحدة؛ لم يبدُ عليه الغضب، فسألته بصوت أجش:

«ألست غاضباً مني؟».

هزّ رأسه، وأجاب: «لا، أبداً».

ـ ألا تكرهني الآن؟

ـ أنا...

وسكت، وأطال النظر إلى عينيها النعيستين المتسعتين ثم أضاف: «ومن يستطيع أن يكرهك؟».

صرخت وهي ترتعش: «آه، يا هولدن!»

وأضافت بشجاعة: «سأتصل بدايڤيد طبعاً وأخبره بأن...».

قاطعها بعنف: «إياك أن تفعلي!»

فقالت محتجة: «ولكن...».

وتملّكها شيء من الإرتباك، وتابعت: «إذا لم أتصل به فقد يخبر الناس بما.. حسناً، بما أخبرته عنك!»

ـ وإذا اتصلت به، وأخبرته الحقيقة، سيدعوك للخروج معه ثانية.

ـ وقد لا يدعوني.

قال وكأنه متأكد من الأمر: «بل سيفعل وستعرّضين نفسك للذعر مجدداً».

ـ تجعلني أبدو وكأنني أثير الشفقة!

فقال لها: «بعد كل ما تحمّلته، ألا تثيرين الشفقة؟».

وراح حبها له يزداد، حين أضاف: «أخبريني صدقاً. هل تريدين أن تخرجي معه؟».

قالت دون تردد: «لا. دايڤيد مسغروف رجل طيب، ولكن... لا».

ولسبب ما، شعرت بعدم رغبتها في الخروج مع أي رجل.

ـ أمنعك إذن من الإتصال به.

فاتسعت عيناها، وهتفت: «تمنعني؟».

ابتسم ضاحكاً، وإذا بحبها له يزداد لدرجة تمكّنه من أن يمنعها كما

يشاء.

ـ إن لم أتصل به وأطلعه على الحقيقة، قد يخبر معارفك، وسيظنون أنك على علاقة جدية بي.

ـ ليس لديّ أي مانع. على ألاّ تمانعي أنتِ إذا ما أخبرت النساء... بأنني على علاقة بك.

وساد الهدوء فجأة بعد تلك الدقائق المنهكة النعيسة. أحسّت جازلين بتحسن بالغ لم تستطع معه إلاّ أن تقول: «أتعلم، يا سيد هاتاواي؟».

ـ أحب أن أتعلم، يا آنسة بالمر.

ضحكت، وهي تقول له: «أظنك تعجبني أكثر من الرجال الذين أعرفهم كلهم».

نظر إليها للحظة طويلة، ثم قال بابتسامة خفيفة: «مجرد كلام».

لكن رأسه اقترب منها وطبع قبلة على جبينها. قبلته هذه بعثت القشعريرة في كيانها. وفيما كانت تكتشف أغرب المشاعر التي جعلت ركبتيها ترتجفان، ابتعد عنها وسألها: «ماذا لدينا على العشاء؟ هل قررت؟».

وفي اليوم التالي، سرّتها رؤية السيدة ويليامز. كانت جازلين تتسكع في الأنحاء، تراقب مختلف أنواع الحياة في برك المياه الصخرية، عندما قررت العودة إلى البيت. علمت أن للسيدة ويليامز شقة جميلة فوق أحد الاصطبلات، لكن هذا لم يمنعها من الترحيب بعودتها بتحضير فنجان من الشاي أو القهوة.

ما أن وصلت جازلين إلى البيت حتى أوقف هولدن سيارته: «هل استمتعت بإجازتك؟».

حيّتها جازلين فيما هولدن يخرج حقيبتها من سيارته.

ـ أستمتع بوقتي دائماً عندما أزور أختي. لكنني شعرت بالأسف عندما علمت أن أباك والسيدة كرادوك قطعا إجازتهما.

ومضت تتحدث مع جازلين، وهما تدخلان البيت، عن مقدار ما ستفتقد الكلب ريمي.

تمنّت جازلين أن يعيد حضور السيدة ويليامز الحياة الطبيعية إلى المنزل، لأنها أحسّت بأنها تغيّرت.

كان ذلك غريباً للغاية. وأرجعت نقص شهيتها إلى الجوّ الحار والمشمس، كما ردّت أرقها في الليالي إلى الحرّ أيضاً. وإذا بشعور التململ والقلق الذي عرفته من قبل يعاودها من جديد.

أما الغريب في الأمر فهو أن شعور التململ هذا لا يساورها أبداً وهي بصحبة هولدن. وعندما رفضت الليلة الماضية اقتراحه بالتمشي بعد العشاء، شعرت، بعد ذهابه، بالتململ والقلق مرة أخرى، فتمنت لو قبلت دعوته.. أليس هذا هو التناقض بعينه؟ مع ذلك، لم يحدث لها هذا قبل الإجازة.

فهل السبب أنها لا تحسن قضاء إجازاتها؟ لكنها تخلصت من توترها الآن، ولا تتذكر أنها شعرت يوماً بمثل هذا الاسترخاء والانسجام.

هذا التحوّل الجديد في طبيعتها عاد يسيطر عليها عند المساء، حين سألها هولدن بعد أن قدّمت لهما السيدة ويليامز وجبة طعام رائعة: «هل سأتمشى الليلة أيضاً وحدي، يا آنسة بالمر؟».

طرح سؤاله هذا ببرودة جعلتها تظن أنه لا يهتم للأمر، وإن كان هذا لا يعني أنها بحاجة إلى اهتمامه ذاك. يا لها من فكرة مضحكة! ومع ذلك، فهي لها كبرياؤها!

سمعت نفسها تقول، مضيفة الكذب إلى خصالها الجديدة: «هناك برنامج على التلفزيون إنتظرته طويلاً».

وبعد حين، كانت في غرفتها عندما سمعت وقع خطى هولدن وهو يمرّ ببابها في طريقه إلى الخارج.. وتمنت لو ترافقه. أدارت جهاز التلفزيون، دون أن يكون لديها أيّ فكرة عن البرامج.. ثم فكرت في الاستحمام، ربما

لم يحن الوقت لذلك بعد. ستدع ذلك إلى ما بعد فتخلع ثوبها القطني الذي لبسته على العشاء. ستستحم عند الساعة العاشرة. اتخذت قرارها ثم جلست على سريرها مستندة إلى الوسائد خلفها.. وراحت تشاهد فيلماً وثائقياً.

لبثت في مكانها حتى أخذت الصورة تتغيّر وتتعطل، فنزلت عن السرير وتوجهت نحو الجهاز تتفرس في الأزرار. لكنها لم تعرف طريقة استعمالها. حاولت تعديل جهاز ضبط المحطات عن بعد، لكنها لم تنجح إلا في إخفاء الصوت وجعل الصورة أسوأ. ولم تلبث أن اعترفت بأنها لا تفهم شيئاً في عالم التلفزة.

كانت جازلين على وشك الإعتراف بالهزيمة، عندما سمعت وقع خطى في الممر. لا يمكن أن يكون هولدن قد ذهب للنزهة! ونظرت إلى جهاز التلفزيون.. اعتاد أبوها أن يصلحه في ثوانٍ.. لعل هذا من اختصاص الرجال.

اندفعت نحو الباب تفتحه بسرعة، وتزامن ذلك مع مرور هولدن. لماذا أجفلت فجأة.. لم تجد تفسيراً لردة فعلها التي لاحظها بالطبع.

ـ هل الأمر بهذا السوء؟

ـ ماذا؟

ـ البرنامج الذي كنت متشوقة لمشاهدته.

وافترّت شفتاه عن ابتسامة خفيفة.. وبدأ عقلها يعمل بسرعة، فقالت: «الجهاز معطّل.. هل يمكنك أن..؟».

فقال بتواضع: «عادة، أجيد التعامل مع الأشياء التقنية أكثر من أواني المطبخ».

وعندما دخلت إلى غرفتها، تبعها.

كانت خبرة جازلين في مثل هذه الأمور معدومة، فتركته قرب الجهاز ووقفت بجانب السرير تنظر إليه. لكنها اكتشفت أنها لم تكن تتأمل ما يفعله

بالجهاز، إنما تتأمله هو. راح قلبها يخفق لمجرد النظر إليه.. كم هو عزيز وغال.. ما أغلاه..

وكأنما أحسّ بأنها تحدّق فيه، فالتفت إليها فجأة، وسألها: «هل من خطب ما؟».

ترك ما في يديه وتقدم نحوها، فسألته بذهن شارد: «خطب ما؟».

فقال وهو يضع يده على ذراعها وينظر في عينيها: «تبدين.. على غير عادتك».

فتمالكت نفسها بسرعة وأجابته: «أنت نفسك لا يبدو عليك الحماس».

أجفل بشكل طفيف، لكن شفتيه النوتا، وقال ببطء: «لكن كل شيء طبيعي بالنسبة إلى لسانك، على أيّ حال».

وفجأة، فارقه حس الفكاهة، ورفع يده الثانية ليمسك بذراعها الأخرى، وعيناه في عينيها الواسعتين البنفسجيتين، ثم قال بصوت عميق: «إنها طريقتك الفكرية في اللمس».

إبتلعت بريقها وقد سرت النيران في كيانها؛ وقالت بصوت أجش وهي ترفع وجهها إليه: «أنا لم ألمسك قط».

فقال بلطف: «عنيت جهاز التلفزيون».

ودنا منها، فحجب الضوء عنها، وشعرت بشيء من العجب والبهجة حين داعب خدها برقة، ونعومة.

تأوهت، فضمّها إليه بالرقة نفسها. أمسكها بثبات لكنه بدا مستعداً لتركها إذا ما شاءت. وطال عناقه الرقيق، فلم تشأ أن يتركها أبداً.

وفجأة، قال وكأنه يوجّه الحديث لنفسه: «ما... ما كان لي أن أفعل هذا».

لم تشأ أن تسمع أيّ عذر، وكان لا يزال ممسكاً بذراعيها، وقد بدا عليه أنه، مثلها، لا يريد أن يتركها.

- بل كان ينبغي عليك أن تفعل ذلك.

رفضت طبيعتها الصريحة الصادقة أن تجعله يشعر بالذنب.

فسألها وقد عادت إليه روح النكتة: «ألا تعترضين إذا ما عانقتك مرة أخرى؟».

ما أكثر المزايا التي تفتنها فيه، فقد أيقظ فيها شجاعتها، وقالت: «قد أعترض إذا لم تفعل».

قال لها برقة: «وقحة!»

وتسارعت خفقات قلبها بهجة عندما طوّقها بذراعيه وأدناها منه.

وقفا دهراً متعانقين وضاعت جازلين بين ذراعيه، ونسيت ما حولها، باستثناء البهجة التي غمرتها. ضمها إليه أكثر فتشبثت به بقوة ودنت منه بشكل لا إرادي.

سألها وهو يتأوه شوقاً: «هل لديك فكرة عما تفعلينه بالرجل؟».

شعرت بدفء أصابعه على وجهها، فالتصقت به، همس وهو يضمها إليه: «يا جازلين الحلوة».

عشقت شعورها بالأمان بين ذراعيه، وأغمضت عينيها تستمتع بالسعادة التي غمرتها.

لم تعرف مثل هذه النشوة يوماً، ومع ذلك شعرت بشيء من التردد.

لم يدم ترددها طويلاً، لكن هولدن، بحسه المرهف لاحظه على الفور.

ابتعد عنها فشعرت بالبرودة تغمر كيانها. وقال بصوت أجش: «عليّ أن أذهب».

لم تصدق ذلك! لا.. لا يمكنه أن يذهب!

- هل تركت ماء الحمام جارياً؟

لكن المشاعر التي أثقلت صوتها أظهرت أنها لا تجد هذا الوضع مضحكاً.

قال بلهجة رزينة جداً: «أنا... لا أفكر بشكل منطقي. ستكرهينني في

الصباح».

لا.. لن أكرهك... لن أكرهك.. أرادت أن تصرخ محتجّة.. لكن تربيتها منعتها من الكلام.

وما لبث أن مال نحوها وطبع قبلة خفيفة على أنفها، ثم ابتعد عنها وسألها: «هل أنت بخير؟».

وأدركت أنه على وشك الخروج، فأجابت: «أنا بألف بخير».

وابتسمت. ذهب بسرعة، وكذلك ابتسامتها. وأدركت أنه رجل غير عادي، فهل من الغرابة أن تقع في حبه؟

***

٦ ـ الغيرة القاتلة

اكتشفت جازلين حبها لهولدن مما حرمها النوم معظم الليل. هذا إذن تفسير ما كانت تشعر به.. شعورها بالتململ والقلق حين تبتعد عنه... أحبته منذ ذاك الحين ولم تكتشف حقيقة شعورها حتى الآن.

لكنه كان موجوداً، في قلبها وعقلها، قوياً ثابتاً، وفي كل جزء من كيانها وكأنه نقش في الحجر. حبها هذا لن يهزّه شيء ولن يفارقها أبداً... لم يكن شعوراً جسدياً بل أعمق بكثير. اكتشاف حبها له الليلة الماضية كان أشبه بزلزال مدمّر مفاجيء.

اكتشافها يفسر هذا الخليط من المشاعر الذي يموج في داخلها وذلك التغيّر المبهم في كيانها. ظنت أن سبب مشاعرها الغريبة، وتقلّب مزاجها بين السعادة والاضطراب أحياناً، يعود لتوترها، لكن حبها له يفسر أيضاً رفضها الخروج مع غيره.

كما يفسر رغبتها في مغادرة المنزل عندما اكتشفت أن هولدن هو صاحب ساندبنكس. لم يكن السبب شعورها بالحرج كما اعتقدت حينذاك، بل شعوراً غريباً حذرها وحثّها على الرحيل كي لا تقع تحت تأثيره. شعور حذرها من خطر الوقوع في غرامه.. لكنها تجاهلت هذه التحذيرات وبقيت... وأدركت أن الوقت قد حان الآن كي ترحل.

غادرت سريرها واتجهت إلى الحمام وفي ذهنها أمر وحيد وأكيد...

www.elromancia.com

يجب ألاّ يعرف هولدن بحبها له يوماً. إنهما صديقان ولن يكونا أكثر من ذلك أبداً. لقد عانقها ليلة أمس بطريقة بعيدة عن الصداقة.. لكن... وفجأة، خطرت في بالها فكرة مريعة، أتراها دعته، بشكل لا إرادي، إلى أول عناق بينهما الليلة الماضية؟ أرادت أن يعانقها.. كانت تعلم هذا.. لكن هل بدا ذلك جلياً في عينيها؟

يا إلهي، لا..! إن هولدن خبير في شؤون النساء... فهل تراه فهم مرادها من نظراتها؟ والأسوأ من ذلك، هل اكتشف أيضاً حبها له؟ وشعرت بحرارة الخجل تجتاحها، فعزمت على الرحيل اليوم.

شعرت بشيء من التحسن عندما تذكّرت سؤال هولدن؛ إن كان لديها فكرة عن تأثيرها على الرجال. كان يرغب فيها، وقد أدركت ذلك. لهذا... هل سيظن هولدن أن الأمر مجرد رغبة جسدية تتفاعل في ما بينهما، اضطرمت نيرانها حين توفر الجوّ الملائم.

لكن ماذا ستفعل بالنسبة لنزهتهما في الصباح الباكر؟ وكانت قد ارتدت بنطلوناً من الجينز وقميصاً، فإذا أرادت أن تذهب، عليها أن تنطلق الآن. واعترفت لنفسها بأنها لا تريد الخروج هذا الصباح، وأدركت أن السبب هو خوفها من رؤية هولدن رغم لهفتها لذلك.

تطلب الأمر شجاعة بالغة منها، لكنها فكرت أن هولدن إذا ما قام بنزهته الصباحية المعتادة، سيتساءل عما دعاها إلى عدم النزول، فأسرعت بالخروج من غرفتها.

لم ترَ أيّ أثر لهولدن، حين نزلت السلم. وهكذا غادرت المنزل ومشاعرها المتضاربة تتراوح بين السرور والأسف. لكنها لم تكن قد ابتعدت كثيراً حين رأت هولدن يتجه نحوها.

تملكها الإضطراب الذي اختلط بخجل لم تعرفه من قبل. ومزّقها الصراع بين رغبتها في أن تراه وبين رغبة غريزية في الهرب. لكنها استجمعت كبرياءها وشجاعتها وواصلت السير إلى الأمام.

وعندما اقتربا من بعضهما، شعرت نحوه بشوق هائل. لكن حين دنت منه أكثر، بدت متماسكة ظاهرياً، فيما المشاعر تغلي في داخلها، وقالت بتحفظ: «صباح الخير».

وقف أمامها، فوقفت بدورها رغم علمها بأن عليها أن تتابع سيرها. وقال مداعباً: «يبدو لون وجهك ورديّاً جميلاً هذا الصباح».

كم تحب مزاحه! فقالت بلهجة عفوية: «الشمس لا تغيّر لوني بسهولة».

كانت تعلم أنه يشير إلى احمرارها خجلاً، لكنها خافت أن يكتشف عواطفها نحوه فجاهدت للبقاء متحفظة.

أدركت أنه لاحظ تحفّظها حين حدق فيها وهو يقول بلهجة عفوية: «سيسرّك أن تعلمي أني مضطر للعودة إلى العمل لبضعة أيام».

سألته: «هل أنت ذاهب إلى لندن اليوم؟».

واستطاعت، بشكل ما، أن تخفي الشعور المدمّر الذي تملّكها، شعورها بأن الرجل الذي تحبه سيرحل من حياتها إلى الأبد!

جاهدت لتتمالك نفسها ولتقول بالتحفظ نفسه: «هذا يحملنا، نحن الإثنين، على الاستعداد للرحيل».

لم يهتم للهجتها أو لهربها السريع في حين ما زال أمامها أيام عدة من إجازتها، بل نظر إليها بحدة، وقال باختصار: «أتنوين العودة إلى بيتك اليوم؟».

فأجابت: «نعم، عند العصر».

وفجأة شعرت بالقلق من أن يقترح عليها أن يوصلها، لكن هذا غير محتمل نظراً لاختصاره الكلام. يا للحب الذي جعلها تحسّ بالضياع والاضطراب! لقد قررت الرحيل... لكنها ليست مستعدة لذلك بعد.

قالت وقد بدأ الألم يتملكها.. حتى قبل أن تنفصل عنه: «ربما سأراك في وقت ما».

وتابعت بلهجة رسمية: «وشكراً على ضيافتك...».

لكنها سكتت فجأة، حين عكس صوته لوماً رقيقاً وهو يقاطعها بأسف: «ظننت أننا صديقان؟».

فشعرت بقلبها يذوب، وهي تسأله: «وما شأن هذا بذاك؟».

استخدمت اللهجة المختصرة نفسها التي تخلى عنها هو، فأجاب: «يُفترض بك أن تبقي هنا حتى نهاية هذا الأسبوع. واليوم هو الثلاثاء».

حاولت أن تتابع سيرها قائلة بلهجة لا تقبل النقاش: «إذن؟».

فقال قبل أن تتقدم خطوة أخرى: «إن لتصميمك هذا علاقة بما جرى بيننا الليلة الماضية، أليس كذلك؟».

هل كان من الضروري أن يذكر ذلك؟ وسألت باستغراب: «الليلة الماضية؟».

لكنها لم تفلح في ادعاء أنها لم تفهم ما أشار إليه، فاستجمعت شجاعتها ونظرت إليه.

كانت نظرته رقيقة وخفق قلبها بسرعة كالعادة. قال لها بلطف: «أنت أكثر صدقاً من ذلك، يا جازلين».

ثم مد يديه ليمسك بيديها ويسألها بثبات: «هل عليّ أن أعتذر لأن الرغبة تغلبت عليّ الليلة الماضية؟».

لمسته لها أوهنت قواها، والنظر إليه جعل الرعشة تسري في ساقيها، وزاد حبها له لأنه بدا مستعداً لتحمّل اللوم كله وحده. مع أن اللوم يجب أن يلقى عليها جزئياً.

في ما مضى، كان الصدق ليدفعها إلى الاعتراف بأنها تتحمل مسؤولية ما حصل مثله تماماً، لكن شعورها الذي اكتشفته حديثاً جعلها تخشى أن تعترف بما قد يفضحه.

أجابته وقد خفّ تحفظها قليلاً: «لا، ليس عليك أن تعتذر».

رأت في عيني هولدن ابتسامة.. ابتسامة رقيقة لم تصل إلى شفتيه وهو

يعترف قائلاً: «ليس لديّ عذر.. سوى أنني كنت منجذباً إليك للغاية».

أخذ قلبها يخفق بعنف، وسألته بحذر: «أحقاً؟».

وسرّت من كل قلبها حين تمكّنت من ضبط انفعالاتها وتأثرها حين أعلن بشكل حازم، لكي يظهر لها مدى انجذابه إليها: «لكنني لا أريد أيّ علاقة جسدية معك».

فقالت بحدة: «هذا حسن، لأنك لن تحصل على ذلك».

ضحك.. ردّ رأسه إلى الخلف وقهقه ضاحكاً لجوابها الحازم... ماذا يمكنها أن تفعل؟ إنها تحب هذا الرجل التعيس، لهذا شاركته الضحك، وعندما هدأا، قال هولدن وهو لا يزال يبتسم: «لا أدري إن كنت قد قابلت فتاة طبيعية مثلك من قبل».

ـ... هذا مجرد كلام.

فاتسعت ابتسامته، وسألها: «هلاّ قدمت لي خدمة، يا جازلين؟».

بدا عليها الجد. كانت مستعدة للقيام بأي شيء يطلبه. وأجابت بلهجة عفوية وكأنها تعلم أنه لن يكلفها ما لا طاقة لها عليه: «أطلب!»

ـ أكملي إجازتك هنا.

ولم تكن تتوقع منه هذا الطلب.

ـ و... ولكن لماذا؟

طرحت سؤالها هذا وهي تعلم أنها لا تريد غير ذلك. وتبادرت إلى ذهنها أفكار جعلتها تتخاذل. سيغيب هولدن لأيام، لهذا يمكنها استغلال هذا الوقت في استجماع قواها وبالتالي في التغلب على مشاعرها. إذا رحلت اليوم لا تعلم متى ستراه من جديد، هذا إذا ما رأته ثانية. في حين إذا بقيت وعاد هو، نهار الجمعة مثلاً، ستراه مرة أخرى.. ولعلها ستخرج للعشاء معه مساء الجمعة قبل أن تسافر صباح السبت.

ودون وعي منها، أحنت رأسها تتأمل نعليها وهما يخطان رسوماً على الرمال المبتلة. لكنها ما لبثت أن جمدت في مكانها حين وضع هولدن أصابعه

تحت ذقنها ورفع وجهها لينظر في عينيها، ثم قال بلطف: «لأن وجودك هنا أراحك جداً. أنظري إلى نفسك، كنت رائعة الجمال من قبل، فأصبحت الآن متألقة».

كلماته التي تشير إلى أنه يراها رائعة الجمال، جعلت ركبتيها ترتجفان، ولم تعرف كيف تمكّنت من الكلام. لكن تصميمها على الرحيل اليوم تلاشى من ذهنها عندما أجابت بشيء من العفوية: «حسناً، إذا عرضت طلبك بهذا الشكل، فأي فتاة يمكنها أن ترفض؟».

- رائع.

وراح يتفرس في وجهها، ويتأمل عينيها الجميلتين، ثم أخذها بين ذراعيه. لم تعارضه جازلين كما لم يخطر في بالها أن تفعل. عانقها برقة، لكنه ما لبث أن قطع عناقهما وعاد ينظر إلى وجهها قبل أن يقول: «كوني هنا عند عودتي».

بعد ذلك استدار عنها مبتعداً، فأخذت تحدّق في أثره وهو يتجه نحو البيت بخطوات واسعة.

بقيت تلاحقه بنظراتها للحظات طويلة، ولم تحوّل نظرها إلاّ حين خطر لها أنه قد يلتفت فيراها تراقبه.

اعتبرت جازلين أن طلب هولدن قد أراحها إلى حد ما. كانت تعلم أنها ضعيفة بلهاء، لكنها لم تختبر الحب من قبل. اعتادت في الماضي، إذا ما قررت أمراً ما ألاّ تتراجع عنه، وأن تنفذ القرار الذي تتخذه.. لكن الحب... الحب الذي تشعر به نحو هولدن، جعل منها، هي المرأة الرزينة الحازمة، امرأة ضعيفة حمقاء.

لم يبارح هولدن ذهنها ذلك اليوم. وعندما عادت إلى المنزل كان قد رحل، فتملكها شعور مخيف بالوحشة. ولم تجرؤ على التفكير في وضعها عندما يختفي من حياتها نهائياً.

حتى الجوّ بدا وكأنه مال إلى البرودة بعد ذهابه، ومع ذلك، حملت

بساطها ومظلتها وتوجهت إلى مكانها المفضل عند كثبان الرمل. أمضت عصر ذلك اليوم وهولدن يحتلّ أفكارها.

ارتسمت ابتسامة على شفتيها حين تذكّرت السبب الذي جعله يطلب منها البقاء... وجودها هنا قد أراحها... لقد قال لها إنها كانت رائعة الجمال من قبل، وأصبحت الآن متألقة.

لكن الأمر يتعدّى ذلك في الحقيقة. فهو يعلم أن أباها ليس في المنزل، وأرادها أن تبقى كي لا تعود إلى بيتها حيث ستكون وحيدة إذا ما عاد توني جوستن إلى ملاحقتها.

يا له من صديق رائع! وأخذت تتذكر كيف جعلها تعده بأن تتصل به ليعالج الأمر بنفسه إذا ما عاد توني جونستن إلى ملاحقتها. لكنها أدركت أن الاتصال بهولدن لن يكون ضرورياً إذ بإمكانها أن تعالج قضية توني بنفسها الآن.

لقد راعت من قبل مشاعر توني، فلم تقسو عليه. لكنها تعرف الآن، ما يشعر به المحب، وهي مقتنعة تماماً بأن توني لا يحبها. فإذا ما أحب المرء، لا يطارد حبيبته وإنما يحترمها ويراعيها. لهذا، إذا ما عاود توني الاتصال بها لدى عودتها إلى بيتها، لن تسكت وتحتمل، بل ستخبره رأيها فيه وتطلب منه أن يذهب إلى الجحيم. لم تعد تخاف وأصبحت أقوى، وذلك بفضل حبها لهولدن.

وأخيراً حصرت جازلين تفكيرها في هولدن. وعندما خلدت إلى النوم في تلك الليلة كان لا يزال يحتل أفكارها. وتبادر إلى ذهنها أنها فهمت الآن ما قاله في الليلة الماضية، عن أنه لا يفكر بشكل منطقي وأنها ستكرهه عند الصباح. كان منجذباً إليها.. هذا ما اعترف به. لكنه رأى أنه من الأفضل لهما أن يتقابلا كصديقين وليس كعاشقين سابقين إذا ما تزوج والدها بخالته. فقد أوضح لها وبصراحة تامة أنه لا يريد أن يقيم علاقة عاطفية معها.

هل يمكن لشخصين أن يبقيا صديقين بعد انتهاء علاقتهما العاطفية؟ ظنت أن هناك فرصة لذلك. ولكن أنّى لها أن تعرف ما دام لم يسبق لها أن أقامت علاقة عاطفية مع أحد؟

تذكّرت جازلين كيف ردّ هولدن رأسه إلى الخلف وقهقه حين قالت له بحدة: «هذا حسن.. لأنك لن تحصل على ذلك». آه، كم أحبت فيه ذلك. نامت وهي تشعر بشيء من التحسن، رغم تفكيرها في أنها ستنفصل عن هولدن يوم السبت. ولو نظرت إلى الأمر بشكل عقلاني ومنطقي، لأدركت أنه يتوقع أن يراها من حين إلى آخر.. على الأقل ما دام والدها وخالته على علاقة.

أما مدى قوة علاقة أبيها بغريس، فاتضح لجازلين في اليوم التالي..

كانت السيدة ويليامز في المدينة تشتري هدية لصديقة لها. رن جرس الهاتف، فيما كانت نانسي، مساعدة السيدة ويليامز، مشغولة في مكان آخر، فرفعت جازلين السماعة بدلاً منها.

أخذ قلبها يخفق بشدّة وقد ظنت أن المتصل هو هولدن. وقالت بعفوية: «آلو».

وإذا بأبيها يجيب وقد عكس صوته سعادة بالغة: «كيف حال أحسن فتاة عندي بعد غريس».

قالت له ممازحة، إذ كانت تعرف مقدار حبه لها: «هل هبطت مرتبتي؟».

فأجاب بفرح: «وافقت غريس على الزواج بي».

فما كان من جازلين إلا أن ضربت قدمها بالأرض لشعورها بالضيق، لكنها عادت وتمالكت نفسها ثم هتفت بمرح: «تهاني».

سكت للحظة وكأنما خطر في باله خاطر: «هل أنت.. راضية عن هذا الأمر؟».

تملكتها الدهشة وهي تسمع نفسها تقول بلهفة، بعد ذلك التوجّس:

«أنا راضية طبعاً، كما أنني أحب غريس جداً، وأنتما متلائمان تماماً».

ـ هذا ما نشعر به نحن. لقد أدركنا ذلك خلال الأيام القليلة الماضية. إن صبر غريس على آرشي طوال المدة التي عاشتها معه، قد روّعني، فهي تستحق أكثر من ذلك بكثير.

وضحك بخجل وهو يعترف قائلاً: «أعلم أنني اقترفت أخطاء، بعضها مضحك فعلاً.. لكن ما تحتاجه غريس في الزواج، هو الصدق. ومهما كانت أخطائي، إلاّ أنني لطالما كنت صادقاً».

فأجابت جازلين: «أعلم ذلك».

عندئذ أعطى أبوها السماعة لغريس، فقالت لها: «أنا واثقة من أنكما ستكونان سعيدين جداً».

فسألتها غريس: «أليس لديك مانع؟».

أجابتها جازلين بإخلاص وحرارة: «أود أن أراكما سعيدين».

ـ سنكون كذلك. لقد تحدثنا مطولاً، ونحن متأكدان من أن زواجنا سينجح وإلا لما صممنا على ذلك.

تابعت جازلين حديثها مع غريس لدقائق أخرى، ثم أخذ أبوها السماعة من جديد. كانا لا يزالان في منزل آرشي كرادوك مع أن هذا الأخير قد تحسّن وأصبح قادراً على العناية بنفسه.

ـ قررنا أن نغادر يوم الجمعة ونمضي الليلة في ساندبنكس، ثم نعود نحن الثلاثة وريمي إلى بيتنا يوم السبت.

ـ لستما مضطرين للعودة إلى هنا من أجلي فقط.

فأجاب أبوها: «لا أنوي التخلي عنك أبداً، كما أن غريس لطالما تمنّت أن ترزق بابنة».

وتراوح صوته بين الهزل والجد وهو يقول: «إسمحي إذن، لوالديك أن يفعلا ما يرياه مناسباً لك».

رباه.. هل هذه غطرسة منه أم ماذا؟ ودّعت جازلين أباها، وهي تدرك

أنها لم تره يوماً سعيداً بهذا الشكل. وضعت السماعة وقد تملّكها شعور غريزي بأن زواجه هذه المرة سينجح، وأنه وغريس، يناسبان بعضهما البعض.

أخذت تفكر، متأملة، في ما إذا كان الزواج يقتصر على ذلك.. إثنان ملائمان لبعضهما البعض... ولا يعني هذا أنها ستجرّبه.. لا سبيل إلى ذلك! فقط..

وفجأة، باغتت جازلين أفكار متناقضة.. ربما إذا وجدت الرجل المناسب، إذا استطاع المرء أن يجد الشخص المناسب. وعاد هولدن ليدغدغ خيالها مرة أخرى، فأبعدته بسرعة. رباه.. لن يطلب منها هولدن الزواج أبداً.. ولن تقبل هي إذا ما فعل. أو... وفجأة وجدت جازلين أن قناعتها الثابتة عن الزواج والتي ترسّخت على مر السنين، قد بدأت تتزعزع لكنها جاهدت بشجاعة لتزيح الضباب عن أفكارها. رباه، كم عانت من مرارة الحياة مع كل ما جرى بين أبيها ونسائه، وكم سمعت من شجار وتبادل للتهم، وكم رأت من تفاهات وتهجمات متبادلة! كان بيتها أشبه بمنطقة نزاع.

لا... إنها لا تريد ذلك لنفسها أبداً، وتريد أن تبقى بمنأى عنه، لكنها لم تعرف الحب من قبل، وها هي أفكارها المسبقة عن هذا الموضوع تنقلب رأساً على عقب.

لم تشأ أن ترتبط بأي رجل لتعيش المشاجرات لا غير. ومع ذلك، ها هو أبوها الذي عانى أكثر من غيره من فشل حياته مع النساء، يفكر في الزواج من جديد.

وعادت بتفكيرها إلى الشخصين المتلائمين، وعاد هولدن يحتلّ أفكارها. عند ذلك قررت جازلين، ولتتخلص من ضياعها أن تقوم بنزهة طويلة سيراً على الأقدام. فقد أدركت أن الحب جعلها تفكر في أمور لا تود التفكير فيها. لا، لا يمكن ذلك أبداً. لن تتزوج أبداً!

كانت على وشك الخروج عندما رن جرس الهاتف ثانية. هولدن؟ ابتلعت بريقها، وشعرت بالتردد فجأة. سيطرت عليها فكرة أن هولدن لن يسرّ لخبر زواج خالته وأبيها. أتراه علم بالأمر؟ وهل يتصل لهذا السبب؟ ليطلب منها أن تحزم أمتعتها وترحل.

لاحظت أن مخيلتها قد جمحت بعيداً، لكنها أدركت في الوقت نفسه أنّ عليها أن تخبر هولدن إذا لم يكن على علم بعد بخبر زواج أبيها وخالته.

توجهت إلى الهاتف في الردهة وهي تفكر في أنها لن تتردد في مواجهة هولدن والدفاع عن أبيها، إذا ما سمعته يهزأ به، وذلك بالرغم من حبها له.

لكن الدفاع عن أبيها لم يكن ضرورياً، لأنها بعدما رفعت السماعة، اكتشفت أن المتكلم ليس رجلاً.

ـ السيد هاتاواي!

سألت المرأة عن هولدن صوت متعجرف.

فلم يعجب جازلين ذلك.. كان بإمكانها أن تتقبل هذه اللهجة المتعالية بسهولة، لكن الغيرة الكاوية التي أحست بها، حين سمعت ذلك الصوت الأنثوي المتعجرف يطلب الرجل الذي تحب، جعلتها تضطرب لأنها لم تختبرها من قبل.

أجابتها بأدب وقد شعرت غريزياً أن لتلك المرأة صلة قوية بهولدن: «آسفة لأنه غير موجود».

لا يمكن أن تكون سكرتيرته وإلا لعلمت مسبقاً أنه غير موجود في بيته، وعاد الصوت يسأل بلهجة آمرة: «أين هو؟».

فسألتها جازلين وقد تملكها الغيظ: «من المتكلم؟».

شعرت بأنها غير مستعدة لإعطاء أيّ معلومات لامرأة مغرورة، لكن المرأة لم تجب على سؤالها، بل سألتها بدورها وببرودة تامة:

ـ ومن أنت؟ مدبرة منزله؟

لم تستحمل جازلين ذلك السلوك الإستعلائي، فمهما كانت هوية

المتكلمة، لا تعطيها الحق في أن تتحدث عن السيدة ويليامز بتلك اللهجة. وأغاظها ذلك فأجابت: «أنا، في الواقع، صديقة هولدن».

شعور الغيرة والغيظ، وحرية التصرف التي منحها إياها هولدن يوم الأحد الماضي، جعلها تقول هذا الكلام. وتبع هذا التصريح صمت مطبق، عادت المرأة بعده تسألها والعداء يقطر من كلماتها: «أنت..؟ وتسكنين في بيته؟ أتقولين إنك صديقته التي تسكن معه؟».

بدا من صوتها أنها لم تصدق كلامها للحظة واحدة، مما زاد في غيظ جازلين فأجابتها: «أنا لست هنا لأغسل الصحون، وهذا أكيد».

ثم أقفلت السماعة.

لم يمض وقت طويل قبل أن تشعر جازلين بصدمة بالغة وقد أدركت ما فعلته! فحين أخذ غيظها من تلك المتعجرفة يتلاشى، أحست بحرارة جسمها ترتفع وبالانزعاج يتملكها! أدركت أن الغيرة شعور مدمّر، لكن لو أنها لا تعرف أن لهولدن صديقات، لما اهتمت باتصالات النساء. إنما... هذا لا يعطيها عذراً.

حاولت، وقد تملكها الذعر، أن تتذكر حديثها مع هولدن يوم الأحد الماضي حرفياً. قال بمرح إنه سيخبر من يعرف من النساء عن علاقته بها، لكنها لم تجد في حديثه ما يسمح لها بأن تخبر إحداهن بأنه يساكن امرأة! آه، ما الذي ستفعله الآن؟

الغيرة شعور لم تعرفه من قبل، كما أن التعايش معها ليس بالأمر البسيط. كانت هذه مشكلة، أما المشكلة الأخرى التي تواجهها فهي ما عليها أن تفعله لتصحح الإنطباع الذي أعطته للمرأة التي اتصلت بهولدن؟

حسناً، لم يكن ذاك انطباعاً! لقد سألتها تلك المرأة التي لا تطاق إن كانت صديقته التي تسكن معه؟ وراحت جازلين تتساءل ببراءة عن الإنطباع الذي توقعت أن يتركه جوابها على المرأة. وواجهت جازلين الحقيقة، فإعلانها بصراحة أنها صديقة هولدن التي تساكنه لم يكن ليثبت الأمر أكثر من

قولها إنها ليست هنا لغسل الصحون. وقدّرت أنه من الطبيعي، ما دامت في منزل هولدن وتجيب على مكالماته الهاتفية معرّفة عن نفسها بأنها صديقته، أن تفترض تلك المرأة أنها تعيش معه، لكن ذلك لا يعطيها عذراً لكي تؤكد الأمر.

هل عليها أن تتصل به وتخبره بما فعلت؟ ليس لديها رقم هاتفه ولكن بإمكانها أن تعثر عليه... وعلى أيّ حال لا بد أن السيدة ويليامز تعرفه. وأبعدت هذه الفكرة عن ذهنها.. لكن، وبعد نحو دقيقة، خطر في بالها أن تلك المرأة التي اتصلت تعرف حتماً رقم هاتف مكتب هولدن ما دام لديها رقم هاتف بيته هنا. ماذا لو اتصلت به وأخبرته عن حديثهما؟ تباً لهذه الفكرة.

بقيت جازلين بعيدة عن الهاتف، إذ استنتجت أن تلك المرأة اتصلت بالمكتب فلم تجده مما دعاها إلى الاتصال بالبيت. لهذا، يبدو أن هولدن يعمل اليوم خارج المكتب.

بقيت جازلين قلقة متضايقة، ولم تستطع أن تستقر. ذهبت إلى غرفة الجلوس ومن ثم إلى غرفتها، ثم عادت إلى المطبخ وغسلت بعض الملابس. وبعد نشرها على الحبل عادت إلى البيت وإذا بالهاتف يرن.

أجفلت.. لا! لم تشأ أن تجيب. في المرتين الماضيتين، حين ظنت أنه هو، تبيّن لها أنها مخطئة. فلما تظنه هو هذه المرة؟ لكن ضميرها المعذب حدّثها بأنها تعلم جيداً لما تظن أنه المتصل الآن، وتمنت لو تجيب نانسي على الهاتف. كما تمنت لو أن مدبرة المنزل موجودة.

قالت لاهثة وقد دبّ الجبن فيها: «آ.. لو».

سألها ذلك الصوت الذي كانت متلهفة إلى سماعه وعدم سماعه في الوقت نفسه: «هل كنت تركضين؟».

ـ كنت في الخارج عندما سمعت الهاتف يرن.

شعرت بوجهها يحمرّ، لعلمها أنّ عليها أن تعترف بخطئها، إذا كان

غرض هولدن من اتصاله أن يعنّفها. لكنها لم تكن مستعدة بعد ليصب جام غضبه عليها.

ـ هل تريد أن تتكلم مع السيدة ويليامز؟

لم تتذكر جازلين أنها حاولت يوماً أن تراوغ بهذا الشكل لتؤخّر لحظة عقابها.

وتابعت تقول: «آسفة لأنها..».

فقاطعها بمرح: «ألا يمكنني أن أحظى بدقيقة من نهاري المتعب لأطمئن إلى أن صديقتي الطيبة جازلين تستمتع بالبحر وبالرمال وبالشمس؟».

ابتلعت جازلين بريقها بصمت، تلك المرأة المتعجرفة لم تتصل به بعد.

ـ أنا.. أظن..

سكتت وقد اختفى صوتها، تزاحمت الكلمات في رأسها لكن صوتها لم يطاوعها، وطال الصمت، فسألها هولدن وقد تغيّر صوته: «هل لديك مشكلة ما؟».

ماذا سيفعل إن أخبرته؟

ـ أنا...

وسكتت، فقال يشجعها: «نعم.. أنت..».

ـ أنا.. أظن أنك ستبدّل رأيك عن.. رأيك بأنني صديقتك الطيبة.. عندما.. عندما أخبرك بما فعلت.

استطاعت أخيراً أن تنطق..

ساد الصمت من جديد.. ثم عادت لهجة المزاح التي تعشقها إلى صوته: «آه، يا جازلين بالمر».

يبدو أنه يرفض أن يصدّق أنّ الأمر فظيع إلى هذا الحد. ولكنه كذلك. نعم...

وأضاف يسألها: «ما الذي تريدين قوله؟».

لا تكرهني! أرجوك لا تكرهني! عليها أن تخبره.. لا يمكنها أن تؤجل الأمر أكثر.

ـ أتذكر الحديث الذي دار بيننا يوم الأحد الماضي؟

فقال: «ذكّريني به».

ـ ذلك الحديث.. حين كنت أشرح لك لماذا قلت.. ما قلته لدايفيد مسغروف؟

قال بحدة وغضب: «ألم تقولي إنك لن تخرجي معه ثانية؟».

ماذا حدث لمزاجه؟

ـ لا، طبعاً لم أخرج معه، إلاّ أنّ...

ـ إلاّ أن ماذا؟

ـ حسناً، أنت تعلم أنك قلت.. قلت إنك ستخبر نساءك بأنك... بأنك على علاقة بي؟

ـ نعم.. أتذكّر.

ترى أحمل صوته عذراً نوعاً ما؟ لكنها لن تتراجع.

ـ حسناً.. أنا فعلت ذلك!

ـ أنت.. فعلت ذلك؟

ـ نعم.. جاءتك مكالمة هاتفية.

وسارعت جازلين إلى الاعتراف بكل شيء خوفاً من أن تقفل السماعة جبناً: «سألتني المرأة من أكون، و...».

ـ وقلت إنك صديقتي؟

أكمل هولدن الكلام عنها.. وشعرت جازلين بأنه ليس غاضباً جداً، فسألته: «هل أنت مستاء؟».

ساد الصمت ثم... أوشكت أن تفقد الوعي، وهو يسألها: «ومن يستطيع أن يستاء منك، يا جازلين الصغيرة؟».

شعرت بركبتيها ترتجفان وسعلت، ثم تلعثمت قائلة: «ذلك.. لم..

ينته».

ـ تعنين أنه ما زال هناك المزيد؟

قال متملّصة من الجواب، وقد بدت الغيرة في سؤالها: «لا أعلم من هي.. هل تعرفها أنت؟».

فأجاب ببطء: «لا شك أنني سأعرف في الوقت المناسب».

قالت فجأة والغيرة لا تزال تتملكها: «آسفة لأنني قلت لها إنني صديقتك التي تعيش معك».

وساد الصمت.. صمت مطبق، فسألته بفتور: «هل أنت غاضب جداً؟».

تجاهل سؤالها، وسألها بدوره برفق، وكأنه يخاطب نفسه أكثر مما يخاطبها هي: «والآن، أعجب لما قلت هذا؟».

لماذا قلت لإحدى النساء أني صديقتك التي تعيش معك؟ لأنني غيورة للغاية، هذا هو السبب! وجاء دورها لتصمت. لا يمكنها أن تدلي بهذا الإعتراف أبداً. وسرّت عندما لم يلحّ هولدن عليها لتجيبه، لكنه قال: «لم أعش يوماً مع امرأة في بيتي.. أخبريني.. يا جازلين الحلوة، هل هذا الأمر ممتع؟».

أرادت أن تضحك وقد تملكها الإرتياح، فهو ليس غاضباً منها! كما أنه لم يعش مع امرأة قط! وأجابته ضاحكة: «إنه ممتع إلى أقصى حد».

فقال لها: «مع لهجتك السعيدة هذه، سأتركك الآن لأنجز بعض الأعمال. إلى اللقاء، يا شريكتي في السكن العزيزة».

وبدا خالي البال مثلها.

أجابته وهي تضع السماعة: «إلى اللقاء...».

ثم أضافت لنفسها: «يا حبيبي».

بقيت لدقائق جامدة تستعيد، مرة بعد مرة، حديثها مع هولدن. وحلّقت على أجنحة السعادة.. ثم، خطر في بالها فجأة أنها لم تخبره عن

خالته وأبيها، كيف نسيت ذلك؟ وتلاشت ابتسامتها. كان عليها أن تخبر هولدن.. ينبغي عليها ذلك! بدا جلياً أنه يجهل موضوع زواج خالته وأبيها. فلو كان على علم بالأمر لما أظهر كل هذه البهجة.

وإذ نزلت من قمة السعادة إلى أسفل دركات التعاسة، كانت جازلين واثقة من أن هولدن، عندما يعلم، سيعارض حتماً هذا الزواج.

***

٧ ـ الطريق المسدود

كلما فكّرت جازلين في الأمر، كلما ازدادت اقتناعاً بأن هولدن لن تعجبه فكرة زواج أبيها بخالته، ورافقتها هذه الفكرة إلى فراشها، وتبادرت إلى ذهنها حالما استيقظت في صباح اليوم التالي. تذكرت كيف زارهما في بيتهما رغبة في حماية خالته. لا.. من المؤكد أنه لن يوافق على هذا الزواج.

حاولت جازلين أن تغضب، لكنها تحب هولدن، ونظراً لتجارب أبيها السابقة، لم تستطع إلاّ أن توافق هولدن على وجهة نظره بالنسبة لهذا الزواج.

تساءلت عما إذا علم بالأمر. وأسفت لأنها لم تخبره بالامس عندما اتصل بها، لقد انتهت تلك المكالمة بسعادة... وأرادت أن تذكرها دوماً... أن تتذكر صوته... مزاحه.

سارت إلى النافذة لتطل منها... يبدو أن النهار سيكون رائعاً. تركت النافذة وتوجهت إلى الحمام، وعندما خرجت كانت غارقة في التأمل. شعرت برغبة في الخروج للتنزه كالمعتاد ولكن من الأفضل أن تمضي الوقت في جمع حوائجها.

أخرجت حقيبة ثيابها، فهي سترحل بعد غد على أي حال. وبالرغم من أن هولدن طلب منها قبل سفره أن تبقى وتنهي إجازتها، إلاّ أنها أحست بأنه لن يشعر بالمحبة أو بالعطف نحوها عندما يسمع خبر الزواج.

أنهت حزم أمتعتها بقلب مثقل، فهي تشعر بقربها من هولدن هنا. والله وحده يعلم متى ستراه بقربها من جديد بعد رحيلها.

قد تراه في عرس أبيها. فهولدن مولع بخالته، وأخلاقه ستدفعه لحضور ذلك اليوم السعيد في حياتها. لكن أن تقتصر رؤيتها له على المناسبات لأمر لا يُطاق.

ولأنها شعرت بأنها على وشك البكاء، أغلقت حقيبة ملابسها ووضعتها بجانب الجدار، ثم أسرعت تنزل السلم. وجدت السيدة ويليامز مشغولة في المطبخ، فقالت لها جازلين وهي تراها تحضر الشاي:

ـ ظننت أن اليوم يوم عطلتك الأسبوعية.

ـ سأحضر لك فطورك ثم...

فقالت جازلين بحزم: «بل أنا التي ستحضر لك فطورك».

وسّرها أن تتحدث إلى مديرة المنزل لمدة ربع ساعة. فقد ألهاها ذلك عن أفكارها.

بعد أن لوحّت بيدها للسيدة ويليامز مودعة، عادت إليها أفكارها السوداء. قد لا ترى هولدن أبداً قبل الزفاف. لقد قال إن العمل استدعاه لأيام قليلة، وهذا يعني أنه لن يعود قبل الغد على الأقل. وإذا عاد غداً فسيكون ذلك مساءً على الأرجح. ولم تعد تعلم هل تطيع قلبها فتبقى، أو تطيع عقلها وكرامتها، فترحل.

لكن الكرامة تضعف أمام الحب.. وما دامت تفتش عن عذر للبقاء، فقد وجدت عذراً جاهزاً. فنانسي لن تأتي اليوم، مديرة المنزل لن تعود قبل آخر الليل، وقد سلمتها مفتاحين للمنزل كي تتمكن من إقفال الأبواب إذا خرجت. وهكذا لم يعد أمامها خيار إلا البقاء لتعيد المفاتيح إلى السيدة ويليامز، إلا إذا اتصل هولدن ليأمرها بالرحيل إن أغضبه زواج أبيها بخالته.

وهكذا خرجت جازلين، متأخرة أكثر من العادة، وأقفلت الباب خلفها، ثم قامت بنزهتها الصباحية. لقد سارت على هذا الشاطىء مع هولدن، وتذكرت كيف أنهما بجنون وحماقة بالغين، أخذا يسبحان

بثيابهما. . تذكرت أيضاً لطفه ودماثته ورقته في ملابس العشاء. . آه، كم تحبه! ما تزال تتذكره وهو مبلل الملابس، غير مهتم، ضاحك. . . أحبّته في كل أحواله. وعندما عادت إلى البيت بعد ساعة دامعة العينين، لم تعد تريد الرحيل. لم ترغب في الرحيل قط، لكنها مضطرة لذلك.

كانت تسير مطأطئة الرأس غارقة في أفكارها التعيسة. وفجأة، رفعت رأسها ونظرت إلى بعيد، وإذا بقلبها يخفق بشدة، كانت وحدها في ساندبنكس اليوم! ولكنها رأت شخصاً آخر، لعله وصل لتوّه.

ابتلعت بريقها حين رأت ذاك الشخص يسير مبتعداً عن البيت. . ويتجّه نحوها.

هل هذا هولدن؟ لا بد أنه ترك لندن باكراً حتى وصل في هذا الوقت. هل جاء ليخبرها شخصياً بأن عليها أن ترحل. . . ليتها أصغت لنداء العقل ورحلت بكرامتها!

ومع اقتراب ذلك الرجل منها، اتضح لها من مشيته، من رفعه لرأسه بكبرياء، أنه فعلاً هولدن.

حاولت أن تفكر في ملاحظة ذكية، تنقذ بها كبرياءها، لكن ما إن اقتربا من بعضهما بعضاً، حتى توقف ذهنها عن التفكير كما لم يبد أن لدى هولدن الكثير ليقوله. وما إن التقيا حتى توقفا، وخفض بصره إليها. . . بينما رفعت هي بصرها إليه، فلم ينطق بكلمة واحدة، وبدا متجهماً: «هكذا إذن».

وبعد صمت طويل، تفرّس في وجهها وقال:

ـ بما أن السيدة ويليامز غائبة، فكّرت في أنك قد ترغبين ببعض الصحبة.

غمرها الارتياح، وحوّلت عينيها عنه حتى لا يرى تأثير كلماته فيها. وبدلاً من العداء الذي انتظرته بدا لها كما كان على الهاتف في الأمس. . . ودوداً ممازحاً.

سألته وقد ظنّت أن صوتها اختفى:

ـ متى. . . متى وصلت؟

ـ وصلت للتو، كيف حالك؟

ـ بخير. . . بخير.

كررت ذلك وهي تلقي عليه نظرة، فابتسم، وخفق قلبها بعنف. سألها:

ـ هل صديقتي التي تعيش معي ستحضّر لي فنجان قهوة.

ـ الآن؟

لعله يعني عندما ينهي نزهته. لكن جوابه كان أن استدار وتوجّه نحو المنزل. سارا معاً، فسألته:

ـ هل عرفت من هي؟

أجاب بالمكر الممازح المعتاد: «نعم».

ـ وهل كانت غاضبة؟

عادت تسأله وقد فاض قلبها حباً، وتملكتها الغيرة من تلك المرأة التي اتصلت في الأمس. ومع ذلك أرادت أن تعرف كل شيء.

أجابها وقد بدا بشوشاً إلى أقصى حد: «قلنا الوداع».

أجابها بعدم اهتمام: «لكنني لست آسفاً».

ونسيت جازلين كل شيء ما عدا أنه هنا. إذا ما بقي في غياب مديرة المنزل، فهي ستستمتع بنهارها، ويبدو أنه لن يطردها من بيته. أرادت أن تقضي بعض الوقت معه وشعرت بحاجتها إلى ذلك. ولعل هذا يعدّ طمعاً، لكنها ستنتهز أيّ فرصة تتاح لها للبقاء معه.

خطر لجازلين حين وصلا إلى البيت واتجهت نحو المطبخ، أن عليها أن تنتبه لكل نظرة أو كلمة تنبس بها، قد تفضح سعادتها أو جزءاً مما تشعر به نحوه.

ـ القهوة!

وأدارت ظهرها إليه وشغلت نفسها باعدادها كما يحبها.

ـ هل يمكنني المساعدة؟

ضحكت: «ولِمَ تغيّر عادتك؟».

وكادت تعترف له بحبها، لكنها عادت وأحجمت عن ذلك. عليها أن تراقب تصرفاتها، وشغلت نفسها بالقهوة.

حمل هولدن صينية القهوة، إلى غرفة الجلوس، ولم تجرؤ جازلين على النظر إليه، إلا بعد أن جلسا متقابلين، خوفاً من أن تكشف نظراتها مشاعرها.

وهتفت دون تفكير: «يبدو عليك التعب».

وكان هو يتأملها فأجاب برزانة:

ـ أنا رجل مشغول للغاية.

ورغم جدّيته، عكست عيناه مكراً شيطانياً، فقالت تلومه:

ـ أنت تجهد نفسك في العمل.

ما هذا؟ إنها تتكلم وكأنها جدته، وتابعت:

ـ أم هو العبث مع النساء؟

طرحت سؤالها هذا وقد تملكتها الغيرة، فردّ عليها:

ـ لا يوجّه هذا القول لعضو قويّ وفعّال في المجتمع؟

ما أجمل أن تراه من جديد وتجلس إليه رغم شعور الغيرة الذي ينهشها، وابتسمت: «إذن...».

وتذكرت، فتلاشت ابتسامتها وهي تسأله:

ـ هل تحدّثت إلى غريس مؤخراً؟

ورغم أنها لم تشأ أن تسأله، إلاّ أنّ تجنّب السؤال أكثر من ذلك لم يعد ممكناً.

ـ اتصلت بها بالأمس.

لم يزد على هذا القول، لكن المزاح اختفى من عينيه.

ـ أنت تعلم إذن؟

ـ عن تصميم أبيك على الزواج بها؟

فردت غاضبة رغماً عنها: «إنه قرار مشترك».

ـ وهل قلت أنا إنه خلاف ذلك؟

ـ أنت قلت...

وسكتت. لم تكن تريد أن تتشاجر معه.

ـ هذا يوم عطلتك، هل نتشاجر الآن أم في ما بعد؟

ـ ومن يريد أن يتشاجر؟

ـ سأضع مزيداً من السكر في قهوتك!

ـ أتريدين أن أضربك على كفيك... أو يمكنني أن أعاقبك بعناق بدلاً من ذلك.

هتف قلبها يرجوه، لكنها قالت له هازة كتفيها:

ـ رضيت بضرب كفيّ.

لكن ابتسامتها تلاشت ونظرت إليه بجد وأضافت:

ـ في الحقيقة يا هولدن، أراهما مناسبين لبعضهما بعضاً.

ـ أتعرفين الموضوع برمته؟

ـ أعرف أبي. نعم، لقد تزوج مرتين وفشل زواجه. وأنا لا ألقي اللوم على أحد. لأنني، عدا عن الكلام اللاذع والصراخ، كنت أشاهد سير الحياة اليومية. إنه...

فقاطعها فجأة: «لقد آذوك!».

أجفلت، وسألته: «من تعني؟».

ـ أعني أباك ونساءه. إنهم...

قاطعته: «لم يكن لديه حريم!».

فرد عليها غاضباً: «بل كانت لديه مسؤولية طفلة حساسة في طور النمو. هل لديه فكرة عما فعله بك؟».

ـ لم يفعل بي شيئاً.

فقاطعها مرة أخرى: «هو، ونساؤه، والخلافات الدائمة في حياتك وأنت في عمر حساس، زرع في نفسك الخوف!».

قاطعته بحرارة وهي تقف: «لا، لم يفعل!».

ولم تعد تريد شرب القهوة.

ـ هل غيّرت رأيك إذن بموضوع الزواج؟

وكان قد وقف بدوره ودار حول الطاولة، فشعرت بأنها تكرهه.

أرادت أن تهرب، لكنها لم تشأ أن تظهر ضعفها، فنظرت إلى قدميها، وهمست وقد تملكتها تعاسة لم تشعر بمثلها من قبل:

ـ لا.

ـ تعالي إلى هنا!

ومدّ ذراعيه إليها فجأة، لكن جازلين بقيت جامدة فيما راح قلبها يخفق بعنف. تقدم منها، أحاطها بذراعيه ووضع رأسها على صدره، لكنها قاومت ذلك. هل يتصرف الأصدقاء المخلصون بهذا الشكل؟ لم تكن تعرف. يبدو أنها لم تعد تعرف شيئاً. ما عدا... أن ذراعيه أشبه بالفردوس.

اقتربت منه، بالرغم منها، وأراحت رأسها على صدره. لم تشأ أن تناقشه، غمرتها السعادة لاحتضانه لها، ولوجودها بين ذراعيه بحيث نسيت الموضوع الذي كانا يناقشانه، وعرفت السكينة لفترة قصيرة.

بعد لحظات، شعرت بقبلة خفيفة طبعها على قمة رأسها. فتملكها الإضطراب، ودار في نفسها صراع بين الابتعاد عنه أو البقاء بين ذراعيه في ذلك الفردوس. وتحركت، وبدا أن حركتها قد كسرت السحر الذي لفّهما.

تراجع هولدن خطوة إلى الخلف وهو لا يزال يحتضنها، ثم سألها:

ـ هل تودّين أن نسبح؟

طرفت بعينيها، السباحة! في وسط شجارهما! رفعت بصرها إليه، ما

أغلاه على قلبها! وقالت:

ـ أنت مجنون!

وافقها ضاحكاً: «أعرف هذا، هل نذهب؟».

هل هناك مثيل لهذا الرجل؟ ولم تجد سوى أن تضحك.

ـ سأعود بعد خمس دقائق.

تركته وعادت إلى غرفتها لتغيّر ملابسها. لمّح هولدن إلى أنها حساسة، لكن جازلين وجدته حساساً هو أيضاً. فهو، عندما لاحظ استياءها، احتضنها وراح يهدئها بدلاً من أن يحاول التغلب عليها في النقاش.

لكنها ستضطر إلى ضبط نفسها، وإلا سيتنبّه حالاً لتعاستها.

وشعرت فجأة بالضعف، وتضاربت مشاعرها... أتذهب للسباحة معه، أم تبقى في غرفتها وتبتعد عنه؟

لكن فكرة أنها لن تراه بعد اليوم، إلا في عرس أبيها وغريس، حثتها على ارتداء ثوب السباحة... ولعل شعورها بالخجل، دفعها إلى اختيار ثوب سباحة من قطعة واحدة بدلاً من «البيكيني» ذي القطعتين.

حملت منشفة كبيرة سميكة ثم غادرت غرفتها. نزلت إلى الطابق السفلي، حيث وجدت هولدن ينتظرها. كان قد غيّر ملابسه هو أيضاً، فحوّلت نظرها بسرعة عن صدره العريض، ورأت عينيه تستقران على ساقيها الطويلتين، فانقطعت أنفاسها دون سبب. وقالت:

ـ فنان في سرعة التغيير.

فرد عليها: «ساقان رائعتان».

ضحكت بتواضع، وأجابت: «لا بأس بهما».

ثم خرجا معاً.

لم يعودا إلى ذكر ذلك الزواج، وكأنما باتفاق ضمني. لم يكن لدى جازلين أيّ رغبة في إثارة هذا الموضوع خوفاً من عودة العداء بينهما. فهي لن تحتمل ألاّ تجمعهما الصداقة مرة أخرى.

وهكذا أخذا يسبحان إلى أن نبّهها هولدن إلى أن الشمس ستحرق جلدها إذا استمرت في تعريض كتفيها لأشعتها. لم تشأ أن تعود إلى المنزل بل أرادت أن تبقى حيث هي، معه. فقالت متذمرة:

ـ ما يهمك، في الحقيقة، هو غداؤك فقط.

ـ نعم، بما أنك ذكرته.

عادا إلى البيت وانفصلا عند فسحة السلم حيث مرّ أمام بابها متوجهاً إلى غرفته. سمعت صوت انسياب الماء في حمامه قبل أن تخلع ثوب السباحة. هل وصفته من قبل بالفنان في سرعة التغيير؟ وابتسمت وهي تستحم. تألق شعرها المغسول بعد أن جففته، وارتدت بنطلوناً ناعماً واتجهت إلى المطبخ.

وقفت عند الباب تنظر بقلق إلى هولدن أمام الشواية، ولاحظت أنه يستخدمها بمهارة. شهقت قائلة:

ـ هل تطهي الطعام؟

ـ ما رأيك في اللحم المشوي والآيس كريم؟

ـ رائع!

ـ يمكنك أن تعدّي المائدة.

كان ذلك الغداء أشهى وجبة تناولتها في حياتها، لم تذق يوماً لحماً مشوياً بمثل هذه الروعة، ولا آيس كريم بمثل هذه اللذة... رباه، كم تحبه!

لم يتناول حديثهما موضوعاً معيّناً، وكان بعيداً عن الجد، فضحكت كثيراً. قررا ألاّ يستعملا غسالة الصحون فعمدت جازلين إلى غسل الاطباق بينما جففها هولدن. قربه منها جعلها تخشى من أن تفتضح مشاعرها نحوه.

وأخيراً، التفتت حولها، وقالت:

ـ أظن أن هذا كل شيء. من الأفضل أن أذهب لأغسل ثوب السباحة.

وتركته، فقد كان اليوم يوم عطلته. قال إنه جاء ليبقى بصحبتها أثناء غياب السيدة ويليامز، لكنها واثقة من أنه يحتاج للبقاء وحيداً لبعض

الوقت.

وفي غرفتها، غسلت ثوب السباحة، ونظفت أسنانها، وتساءلت عما عليها أن تفعله بعد ذلك. جلّ ما أرادته هو أن تنزل للبحث عن هولدن، لكنها لم تشأ أن تثقل عليه بصحبتها.

تملكها الشوق لرؤيته، وتظاهرت بترتيب غرفتها المرتبة أصلاً. أحسّت بالضعف والخوف، وكأن حاسة سادسة تحذّرها للإبتعاد عن طريق هولدن. لكن لماذا وهي تحبه هذا الحب كله، تتصرف بخلاف ما تريده؟ تجاهلت ما أملاه عليها قلبها، وهو أن تخرج من غرفتها، ثم سارت إلى نافذتها تنظر منها إلى الخارج.

لفتت نظرها حركة إلى يسارها، وتملكها مزيج من الإرتياح وخيبة الأمل. رأت هولدن يقوم بنزهته التي قطعها عندما قابلها ذلك الصباح. أرادت ان ترافقه لكنها عدلت عن ذلك. بدّلت ملابسها لترتدي ثوب السباحة البيكيني وفوقه سروال قصير، وحملت بساطاً وكتاباً ثم توجهت إلى كثبان الرمل.

لم يدهشها أن تكتشف أنها نسيت احضار المظلة الكبيرة. ولم يشكّل ذلك مشكلة، إذ فرشت البساط في بقعة مظللة، وجلست ثم فتحت كتابها.

وبعد نصف ساعة، تخلّت عن تظاهرها بالقراءة، إذ لم تقلب سوى صفحتين كما لم تتذكر كلمة مما قرأته.

غمرها الشوق إلى هولدن، هل هذا ما سيكون عليه الأمر بينهما؟ بدا لها المستقبل كئيباً من دونه. ومع ذلك لا يمكنها أن تتمنى لو لم تتعرف إليه. كان شهماً حساساً، و... نعم... يمكنه أن يكون حاد الطبع أيضاً. لكن، وبالرغم من غضبه وحدة طبعه، رقّ قلبه حين رأى تعاستها وضمها بين ذراعيه فعرفت الطمأنينة لفترة قصيرة.

أرادت أن تعرف تلك الطمأنينة مرة أخرى، أن تشعر بالأمان بين ذراعيه، إنها... وتوقفت عن التفكير بعد أن سمعت صوتاً بالقرب

منها . . . وما هي إلاّ لحظات حتى ظهر هولدن.

كانت تعلم أن نظاراتها الشمسية لن تحجب عينيها عن نظرات هولدن، لكنها ودّت أن تحجب التعبير الذي ارتسم فيهما وهي تبتسم.

سألها وهو يشرف عليها بقامته الطويلة:

ـ أتريدين البقاء وحيدة؟

كان يرتدي سروالاً قصيراً، يكشف ساقيه الطويلتين. ولم تستطع احتمال فكرة ذهابه، فقالت:

ـ بل أتمنّى بعض الصحبة.

وعندما جلس قربها على البساط استوت في جلستها، وأخذت تُشغل نفسها بالنظر إلى طائر يحلّق في السماء.

قالت محاولة ايجاد موضع للحديث:

ـ إن طائر النورس مهيب، أليس كذلك؟

فأجاب: «إنه ملوكي في طيرانه».

وشعرت بأنه يمزح، وقد أحسّ بخجلها، فغيرت الموضوع بسرعة:

ـ هل استمتعت بنزهتك؟ لقد رأيتك من نافذتي حين خرجت.

ـ الصديق المخلص كان ليرافقني.

فقالت معترضة: «أنا صديقة مخلصة».

فنظر إليها ضاحكاً، وردّ: «أظنك كذلك».

ثم تمدد إلى جانبها على البساط.

آه، كم تحبه. وتمددت مثله ثم أغمضت عينيها وسألته:

ـ هل لديك الكثير من الصديقات؟.. أنا.. أنا لا أعني ذلك النوع... لأنك لن تخبرني على أيّ حال... ولكن، نساء مثلي.

وتمنّت لو لم تتكلم قط، لكنها سألت: «هل هن كثيرات؟».

ظنت أنه لن يجيب، لكنه أجاب بمرح، قبل أن يتملكها الإرتباك خوفاً من أن يظنها تتطفل عليه:

ـ يا جازلين الحلوة، لا أظنني عرفت امرأة مثلك.

ـ هل هذا مديح أم ذم؟

فقال: «أنت أشعة شمس في يوم ممطر».

خفق قلبها، وعلّقت: «مجرد كلام».

ضحكت، ثم التقطت كتابها تتشاغل بشيء ما، لكنها عادت ووضعته على الأرض...

وأحست فجأة، بأنها يجب ألاّ تضيّع الوقت الذي تمضيه معه ولو للحظة واحدة، فقالت:

ـ أظنك تعرف العديد من النساء.

فقال ببطء: «أظن ذلك».

أثار رده غيرتها، لكن هذه الغيرة خفّت حدّتها حين أضاف مازحاً:

ـ وذلك لأنني ولدت منذ زمن طويل.

إنتصبت جالسة ونظرت إليه. كان مغمض العينين، قالت:

ـ لا يبدو عليك هذا.

ففتح عينيه وقال: «إنك تزجّين نفسك في المتاعب».

فسألته: «كم عمرك؟».

استدار على جنبه ونظر إليها بجدية، قائلاً:

ـ أنا في السادسة والثلاثين من عمري. هل يجعلني هذا أكبر من أن أكون صديقك؟

قالت ضاحكة: «أنا أعشق سن السادسة والثلاثين».

وشعرت بجسدها يتوهج حرارة، إنه يريد صداقتها لا حبها. وسألته باندفاع:

ـ هل سنبقى صديقين عندما أصبح أنا في السادسة والثلاثين؟

ـ سنعقد بيننا ميثاقاً، سنتناول العشاء معاً في المطعم في عيد ميلادك السادس والثلاثين.

ضحكت، وقد وجدت الاقتراح رائعاً:

ـ آه، كم أحب الأحاديث التافهة.

فقال لها بتثاقل: «يا لك من امرأة أنانية دون قلب».

وتلاشت ابتسامتها عندما أحست بالجو مشحوناً بينهما. حدّقت فيه، في فمه، في عينيه، فرأت نظراته تتسمّر على فمها، ثم تتحوّل بعيداً. حين رأى أن الشمس قد غمرتها، انتصب جالساً، وأدركت أن الجو المشحون الذي أحست به وليد مخيلتها هي، إذ جاء صوته عفوياً للغاية وهو يقول ناظراً إلى كتفيها العاريتين:

ـ لقد مالت الشمس، أين المرهم المضاد لحروق الشمس؟ سأضع بعضاً منه على كتفيك.

لم تكن المظلة الشيء الوحيد الذي نسيته، فقالت: «نسيت إحضاره».

سرّها ذلك، فهي تخشى أن تضعف إرادتها إذا ما وضع يده على جلدها فترتمي بين ذراعيه، وقالت مكرهة: «من الأفضل أن أعود إلى البيت».

قال هولدن: «لا حاجة لذلك».

وفك أزرار قميصه ثم خلعه. سألته بصوت أجش:

ـ ماذا تفعل؟

وعرفت الجواب حين ركع أمامها ووضع قميصه على كتفيها. فسألته بصوت مرتجف وقد غمرها دفء جسده:

ـ وماذا عنك؟

ـ بشرتك أكثر بياضاً من بشرتي.

وابتسم لها. أخذ يزرر قميصه حول عنقها، لكنه لم ينجح في ذلك، فما أن لمست يده جلدها حتى سرى تيار كهربائي في جسديهما:

ـ جازلين، أواه يا جازلين.

قبضت يده على كتفها بشدة. شعرت من قبضته أنه يكافح للحفاظ على تعقّله ولضبط نفسه.. لكنها تلهفت ليأخذها بين ذراعيه. ليعانقها...

عناق أخير للذكرى.

ـ أنا..

وشهقت، فحدق في عينيها الدافئتين، وسألها، كأنه يحتاج عوناً:

ـ ماذا؟ ماذا يا جازلين؟.

أجابته: «أتمنى.. أن تعانقني».

شعرت بقبضته تشتد على كتفها، ثم سمعت آهة تفلت من بين شفتيه. وسرعان ما نالت أمنيتها ومبتغاها.

أحاطها بذراعيه، وأدناها منه... ضمها إليه بقوة وشغف. حين رفع هولدن رأسه لينظر في عينيها، سألها بصوت أبح:

ـ هل لديك فكرة عما تفعلينه بي؟

إذا كان مشابهاً لما يفعله بها، فلديها فكرة جيدة عن ذلك. وابتسمت، فضمها إليه بشدة وقد راحت نيران مشاعرهما تستعر وتهدد بالتهام كل ما يقف في طريقها.

ولامست يده الرقيقة وجنتها، وارتفعت إلى شعرها الناعم، فكاد قلبها ينفطر بين أضلعها للمشاعر التي غمرتها.

أخذت خفقات قلبها تتسارع وهو يمرر يده في شعرها الأشقر الطويل، وسمعته يهمس:

ـ يا صغيرتي.

النار التي أحسّت بها تسري في عروقها حين احتضنها بشدة كادت تحرقها، فقالت:

ـ ينتابني شعور غريب.

ابتسم لها. أواه، كم تحبه.

كادت تعترف له بحبها، لكنها أحجمت عن ذلك. وإذا بالخجل، خجل مفاجيء يغمرها، فابتعدت عنه، وهي تخفي وجهها قائلة:

ـ آسفة...

فابتسم وقال: «لا تقلقي، يا حبيبتي الصغيرة. اقتربي مني».

ضمها إليه وعانقها مبدداً مخاوفها، يا له من رجل رائع! جرفتها أحاسيسها ومشاعرها فتاهت في عالم الحب، ولم تعد تعي سوى الرجل الذي تحب.

آه، كم هو غالٍ عليها، وما أروع حنانه، وما أجمل رقته. سألها وعيناه مسمرتان على وجهها:

ـ هل أنت خائفة مني، يا صغيرة؟

هزّت رأسها، ولم تجد ما تقوله. فجلّ ما تعرفه هو أنها تحبه ولا شيء يهمها الآن سوى أن تكون معه وبين ذراعيه. وهتفت باسمه وقد تملكها الشوق إليه:

ـ هولدن!

سمعته يتأوه وهو يشدّها إليه ويداه تتغلغلان في شعرها. وهمس:

ـ أواه، يا صغيرتي.

أجفلت عندما أحست أنها لم تعد تسيطر على مشاعرها الجارفة، وخافت من أن يكتشف حبها له.

ـ أبخير انت يا حلوتي؟

ـ نعم، نعم يا هولدن.

وجرفتها عواطفها نحوه، وعجزت عن السيطرة على كلماتها التي خرجت من فمها بما يشبه الهمس:

ـ أنا أحبك.. أحبك جداً.

ما أن خرجت هذه الكلمات من فمها حتى صعقت، فتصلب جسمها. أتراها قالت ذلك حقاً؟ أتراها؟ وبدا أن هولدن لم يصدّق أيضاً ما سمعه، إذ تملكته الصدمة. فقد جمد في مكانه، وعندما حدّقت، خرساء مصدومة، في ملامحه التي عكست الشك، لاحظت شحوبه.

سألها بصوت مخنوق متردد: «ماذا.. قلت؟».

أيحسب أنها ستكرر ذلك؟ وتملّكها الذعر، فاختفت مشاعر الحب كلها، وأصبح همها الوحيد الخروج من هذا المكان، وبسرعة.

شعرت بالارتياح، لأن هولدن المذهول ابتعد عنها. وما كان منها إلا أن ركضت بأقصى سرعة نحو المنزل، ولم تتوقف عن الركض حتى وصلت إلى غرفتها وهي تلهث. وعندما توجهت، بشكل غريزي، نحو الحمام، وكأنما لتزيل عنها كلماتها تلك وذكرى عناقها مع هولدن، تبدّد ذعرها لتبدأ بالتفكير بشكل هادىء ومترابط.

لم تفعل، لا لم تفعل... آه، أتراها قالت ذلك؟ رباه، لقد قالته! حسناً، انتهى كل شيء الآن. لتنسَ صداقتهما... ولتنسَ موعدهما في عيد ميلادها السادس والثلاثين. وانهمرت الدموع من عينيها وهي خارجة من الحمام فمسحتها بغضب. كم كانت حمقاء!

لم يرغب هولدن في حبها يوماً وتكهنت بأنه عندما سيستفيق من تأثير الصدمة، سيتوقع منها أن ترحل. لقد أوضح لها تماماً أن كل ما يريده هو صداقتها، وقال بصراحة إنه لا يريد أيّ علاقة عاطفية معها. لعل الانجذاب الذي يشعر به نحوها، قد جعله ينجرف قليلاً، لكن هذا لا يعني أبداً أنه يريد حبها.

وتوقعت أن ينتظر عند كثبان الرمال حتى ترحل، لذا شعرت بأن عليها الإسراع في ذلك. فهي ستموت إذا ما فكر في العودة ليعرض عليها أن يوصلها إلى أقرب محطة قطار، بدلاً من أن ينتظر حتى ترحل... إنها...

وتوقف عقلها عن التفكير عندما انفتح باب غرفتها ودخل هولدن.

شهقت وقد تملكها خجل لم تشعر بمثله قط من قبل.

كان وجهه جامداً، وبدا مصمماً على أمر ما، فهي ترى ذلك بوضوح.

قال لها فجأة: «علينا أن نتفاهم».

آلمتها لهجته غير المبالية، وقالت بحدة:

ـ ألا يمكننا تأجيل ذلك؟

ـ لا يمكن.

رباه، الأمر كما ظنت بالضبط. كشفها عن حبها له لم يحرجه، لكنها لم تعتقد أبداً أنه سيغضب.

ـ سأنزل إلى الطابق السفلي حالما أجفف شعري.

حاولت أن تؤخّر تلك اللحظة. لن تتناقش معه في أي موضوع، لا سيما موضوع اعترافها الطائش المتهور بحبها له والذي صدر عنها دون وعي.

فأجابها بقوة وإلحاح: «بل الآن!».

أغضبها هذا! كيف يمكنه أن يكلّمها بهذا العنف والغضب بعد كل الرقة والحنان اللذين أظهرهما؟ وقالت بحدة:

ـ إذا لم تلاحظ، فقد خرجت من الحمام للتو.

فأجاب بالحدة نفسها: «بل لاحظت».

واستدار خارجاً ثم التفت ليقول لها: «عشر دقائق».

عشر دقائق.. إلى جهنم! وضيّعت جازلين دقيقة وهي تحدّق في الباب بعد خروجه. وعندما، سمعت صوت المياه المنهمرة في حمامه، سارعت إلى العمل. جففت شعرها بسرعة، ولم يسمح لها الوقت بالتبرّج، لأنها سترحل. وعندما تبتعد عن المنزل، ستوقف أي سيارة تمرّ أو ستتصل من القرية لتطلب سيارة أجرة... هذا غير مهم. المهم أن تخرج من هنا دون أن يعلم ذلك السيد الذي يريد التفاهم.

نشّفت شعرها مجدداً بسرعة وسرّحته بالمشط، ثم رفعت حقيبتها، ووضعتها على السرير وفتحتها. كانت قد حزمت معظم أمتعتها، لحسن الحظ، لكن لباس السباحة لا زال مبتلاً... ولما تشغل نفسها به؟ أخذت تتساءل وقد حلّ بها الذعر والخوف من التأخر.

قررت جازلين أن تترك كل ما لم تضعه في الحقيبة. وبعد ثوانٍ أقفلتها وحملتها إلى الباب.

أسرعت نحو السلم، بقدر ما أمكنها من الخفة، ونزلته، بالرغم من حقيبتها الثقيلة. ثم توجهت إلى الردهة حيث استدارت لتنسلّ من الباب الأمامي... وإذا بها تجد طريقها مسدوداً.

سألها هولدن باتزان:

ـ أظنك تهربين مني يا جازلين؟

وقفت مصعوقة تحدّق فيه، وقد أذهلها أن تراه قد سبقها إلى الباب الأمامي. بدا من شعره المبتل أنه تخلص من الرمال، وأخذ يتقدم نحوها، أجابته:

ـ أحقاً؟

صممت على تنفيذ قرارها، فاستدارت بسرعة قياسية وركضت نحو الباب الخلفي، وحقيبتها تعرقل سيرها، دون أن يخطر في بالها ولو للحظة أن تتركها خلفها.

لكن هولدن سبقها إليه. وهكذا، وقفت مهزومة على بعد خطوات منه، وكادت تموت عندما قال لها، وكأنها لا تعلم ذلك:

ـ تهربين بسبب شيء قلته أنت، كما أظن.

ـ اللعنة عليك، يا هاتاواي.

ـ ستحل عما قريب، أما الآن...

أما من نصير؟ لم تره يوماً بمثل هذا الحزم.

* * *

٨ ـ سيد الأدلة

قال هولدن: «سنذهب إلى غرفة الجلوس».

ـ نعم... على ما يبدو..

وبالرغم من أن قلب جازلين كان يخفق بعنف، إلاّ أنها صممت على ألاّ تسير معه خطوة واحدة.

لكنها غيّرت رأيها عندما أخذ منها حقيبة ملابسها ووضعها على كرسي في الردهة وبدا جلياً من ملامحه أنه سيحملها إلى غرفة الجلوس حملاً إذا اقتضى الأمر. قادها من ذراعها، فقالت له بحدة وهي تنزعها من قبضته: «لا حاجة للامساك بي».

تفرس فيها بعينين مفكرتين، وقال: «أنت مضطربة جداً».

أرادت أن تضربه، فهو السبب. كانت كرامتها مجروحة، وعلمت أنه سيجرحها أكثر. لِمَ لا يدعها تذهب، ويتظاهر بأن شيئاً لم يحدث بينهما؟ لكنه ليس من الرجال الذين يتظاهرون بغير الحقيقة... هذا هو السبب.

قالت دون أن تعلم كيف استطاعت ذلك: «نعم، تريد أن نتفاهم؟ فلنتفاهم إذن!».

وهزّت كتفيها وكأن ما من شيء يشغل بالها.

توجّهت نحو غرفة الجلوس، مصممة على الإنكار، الإنكار، والإنكار. ورافقها هولدن خطوة خطوة وكأنه لا يثق بها، ويخشى أن تهرب من الباب الأمامي.

دخلا الغرفة، وبعد أن أغلق الباب، دعاها إلى الجلوس.

أيظن أن الأمر سيستغرق كل ذلك الوقت؟ فهي ستهرب عند أول فرصة. وقالت رافضة الجلوس: «إسمع، ما من حاجة لذلك، صدقني».

ـ ألا تظنين ذلك؟

كانت عيناه على وجهها تتفحصانه، تتأملانه، تستوعبان كل نظرة أو إشارة.

عونك يا رب.. فهي لم تره يوماً بمثل هذا الحزم، وهذا الثبات على موقفه. حوّلت نظراتها بعيداً، وبعد جهد جهيد، استطاعت أن تغيّر، الموضوع الذي بدا أنه يحرص على مناقشته، قالت بعفوية:

ـ إننا أناس متحضرون، يا هولدن وأنا واثقة من أنك ستنسى ما كان... ما كان...

وتنفست بعمق ثم أضافت: «على أيّ حال، عندما نلتقي في عرس أبي وغريس، أنا واثقة، من أننا لن... لن.. نتصرف أيّ تصرف يفسد عليهما يومهما السعيد».

وتجرأت على النظر إليه. رباه... إنه يحدق فيها وكأنه لا يصدق أنها تثرثر، دون أن تأتي على ذكر الموضوع الذي يريد أن يتفاهم معها بشأنه. واندفعت تقول، شاعرة بالإنزعاج وبحاجة قصوى إلى الجلوس على الكرسي الذي دعاها للجلوس عليه منذ قليل:

ـ على أيّ حال، عانت غريس من زواجها، لأن زوجها لم يكن يستحق الثقة، وهي الآن بحاجة إلى رجل لا يمكن أن يخونها... فهي لن تتحمل ذلك أبداً. وأبي لن يخون ثقتها... فهو لم يخدع أيّ امرأة في حياته.

سكتت، ثم نظرت بلهفة إلى الباب، ثم عادت تنظر إلى هولدن.

هز رأسه... تلك الحركة أعلمتها أنها لن تفلح أبداً في الهرب.

قال معلقاً على ثرثرتها غير المتزنة: «هذا هام للغاية فلما لا نجلس نتناقش في الأمر بصفتنا متحضرين؟».

فتحت جازلين فمها لتتكلم، لكن اضطرابها ازداد عندما أخذ يتقدم نحوها، فأخذت تتراجع حتى اصطدمت بإحدى أرائك الغرفة. وأخيراً، لم تجد حلاً أفضل لصون كرامتها من أن تمتثل لاقتراحه. وعندما جلست، لم

تكترث لهولدن وهو يجر كرسياً ليجلس أمامها. مال نحوها، وقال: «لنعد إلى كثبان الرمل...».

قاطعته وقد تملكها الذعر: «هذا ليس عدلاً. كنا نتكلم عن أبي وغريس».

ـ أنتِ التي كنت تتحدثين وليس أنا.

ـ نعم، حسناً...

رفض أن يتركها تتملص من الموضوع.

ـ قلتِ إنك تحبينني، و....

فقاطعته: «هيا يا هولدن.. أنت تعلم جيداً أنني... أنني لم أختبر مثل تلك... المشاعر من قبل».

قال لها وقد رقّت نظراته: «لوميني كما تشائين».

تباً له! إنه يعلم مثلها تماماً أن عناقهما كان تلقائياً... ولا يقع اللوم على أحدهما فيه. فأجابت: «لن أفعل ولكن، أنت تعرف أكثر مني أن... الناس... النساء و... الرجال أيضاً يصابون بشيء من... أعني تجرفهم مشاعرهم أحياناً.. فيقولون ما لا يعنونه».

سكتت شاعرة بالاضطراب، بينما بقي هو هادئاً يراقبها عن كثب.

قال: «هذا صحيح».

وبدأت جازلين تشعر بشيء من التحسن إذ خطر لها أن بإمكانها أن تنهي الأمر بالخداع، وابتسمت وقد تملكها الارتياح، ثم قالت: «في غمرة الانفعال، قد يقول المرء أشياء لا يقصدها فعلاً».

لكن القلق عاد ليغمرها عندما أجاب هولدن بابتسامة خفيفة: «هل يمكن للشخص أن يقول ذلك؟».

أتراه يعبث بها؟ وتلاشت ابتسامتها عندما اختفى شعورها بالارتياح وعاد إليها التوتر. وتبادر إلى ذهنها أنه حتى في حالات الانفعال، لن يقول لامرأة إنه يحبها إلاّ إذا كان يقصد ذلك فعلاً. فما الذي تعرفه هي؟

أما وقد خطت خطوتها الاولى، فكرامتها تأبى عليها أن تغرق دون كفاح.

قالت له بحزم: «طبعاً».

ـ ظننت... مجرد ظن... وأنت تعرف أني لست خبيرة في هذه... الأمور... ظننت أن ما قلته... كان عليّ أن أقوله.

تجرّأت على النظر إليه لترى وقع كلامها، لكنها لم تستطع أن تستنتج شيئاً من ملامحه، رغم أن ابتسامته الخفيفة تلك قد اختفت. سألها بخشونة: «أتشوّهين ما جرى بيننا؟».

وتملكها الإرتباك، فقالت: «لا أفهم».

وتمنت لو تنشق الأرض وتبتلعها عندما قال برزانة:

ـ ما جرى بيننا كان تلقائياً حقيقياً رائع الجمال... لم يكن فيه كذب ولا زيف. ولا أريدك أن تفهمي الأمر بهذا الشكل.

أوشكت أن تنهار، فما قاله صحيح.

ما حدث بينهما لم يكن خيار أيّ منهما إذ لم يستطيعا كبح مشاعرهما. لكن توافقهما على أن النشوة التي جمعتهما كانت رائعة، أصابها بوهن في ركبتيها، فقالت محاولة خداعه مرة أخرى: «لقد... لقد فقدت وعيي».

ـ لقد فقدنا وعينا نحن الإثنين.

تأوهت في داخلها، لكنها حاولت مرة أخرى.

ـ هل تستغرب وقد تملكتني مثل تلك الاحاسيس أن...

زحف الاحمرار إلى وجهها، فأحست بذلك، لكنها أرغمت نفسها على المتابعة.

ـ أن أرغب في قول ما قد... قد يسرّك قليلاً.. في تلك اللحظة بالطبع، وهذا لا يعني أنك... أنك ستسرّ بشكل خاص...

واختفى صوتها، عندما وصلت إلى النهاية غير الميمونة. وأدركت، وهي ترى ابتسامته المشككة، أنها لم تستطع خداعه ولو للحظة واحدة. قال لها بلطف: «يبدو وجهك أحمر اللون، إذا سمحت لي بهذه الملاحظة».

قالت بحدة: «هذا بسبب جلوسي هنا».

ساءها أن يلفت نظرها إلى احمرار وجهها أو إلى شعورها بالاضطراب، لكنه تابع وكأنها لم تتكلم: «وكدتِ تخدعينني منذ لحظة، لولا أني عرفتك حق المعرفة في الأيام والأسابيع الماضية».

لم يعجبها ما سمعت. فقالت ساخرة: «أرجو أن يكون رأيك حسناً».

فأجاب بابتسامة رقيقة: «طبعاً، باستثناء شيء واحد وهو...».

وسكت فراحت تراقبه بنفس الدقة التي يراقبها بها، وبدا غير واثق وهو يضيف: «وهو ما أرجو أن يُحسم بشكل يرضي الطرفين».

لم تشأ أن يبتسم لها برقة، فهذا يضعفها. وأدركت فجأة أنها ستقع في ورطة إذا لم تتخذ موقع الهجوم بدلاً من موقع الدفاع، فقالت تتهمه: «إنك تتكلم بالالغاز».

أجابها دون أن يوضح: «ليست ألغازاً بالنسبة لي. إحدى المزايا التي أعجبتني فيك يا جازلين هي الصدق».

ـ هل أشكرك؟

ـ لا، وذلك الصدق هو الذي جعلني أعلم أنك، وبالرغم من محاولاتك لاقناعي بأنك قلت تلك الكلمات...

سكت وهو يراها تحمرّ ثانية، ومال نحوها يلامس وجنتيها، لكنها نفرت منه بحدة. يكفيها ما تعانيه من دون أن يلمسها برقة فيضعفها، لكنه لم يتراجع: «بالرغم من محاولاتك لاقناعي بأنك قلت تلك الكلمات لتسعديني، إلاّ أنني أعرفك و أعرف مدى صدقك».

قامت بردة فعل هازئة، وهي جلّ ما استطاعته، لكنه تجاهلها: «معرفتي بك تجعلني مقتنع بأنك لن تقولي تلك الكلمات إلاّ إذا كنت تعنينها فعلاً».

أرادت أن تبتلع بريقها، لكن حركتها هذه ستفضح أمرها. قالت: «يبدو أنك لا تعرفني جيداً».

وهزت كتفيها، من المؤسف أنها لم تستطع مواجهة عينيه. وأخذت نفساً

عميقاً لتتمالك نفسها... وإذا بذلك الإضطراب الذي لاحظه يتحوّل إلى غضب، ويمتزج بمشاعر أخرى غريبة تملكتها. لا بأس، إنها تحب هذا المتوحش الفظ. لكن هل عليها أن تستسلم لتحقيقه العنيد وتحليله لمشاعرها؟

سألته باختصار: «ما هذه القضية الكبرى التي تشغلك يا هاتاواي؟».

وسرّها أن تعكس نظراتها شعورها بالغضب، وإن كانت عاجزة عن قراءة ملامحه، وأضافت: «الآن وبعد أن هدأت مشاعرنا... من... لقائنا الرملي... عليك ألا تعلّق أهمية على ما قلناه، في لحظة انفعالنا البالغ».

عندما جلس هولدن يراقبها بصمت، تلاشى صوتها مجدداً، واختفى غضبها معه، وهمّت بالوقوف... سترحل... لا لن تبقى... لكن هولدن تحرك أيضاً فدفعها إلى الجلوس من جديد بحزم إنما برفق، ثم قال بلطف:

ـ ليس الآن، وآسف لتوترك. لكن ما قلته عند كثبان الرمل مهم، على عكس ما تعتقدين. وأنت مخطئة إذا اعتقدت أنّ ما زلّ به لسانك في تلك اللحظة العاطفية العنيفة بيننا ما كان ليسرّني... القضية الكبرى كما أسميتها، يا عزيزتي، هي...

وأخذ قلبها يخفق بجنون حين قال، يا عزيزتي، فحدّقت فيه وهي تلاحظ أن صوته قد اختفى، إلا أنّه ما لبث أن انتعش فتابع وعيناه في عينيها: «القضية الكبرى، يا جازلين هي أنني... أهتم بك».

حدقت فيه مذهولة، ثم عادت وحوّلت نظراتها بعيداً، كي لا يرى فيض المشاعر التي تزاحمت في نفسها حين سمعت كلماته، يهتم؟ وماذا تعني كلمة يهتم؟ يهتم... بمعنى أتطلع إلى وجودك قربي؟ أم يهتم لأننا صديقان؟ أم يهتم... بمعنى... ولم تستطع جازلين أن تنهي هذا المعنى.

ـ قلت ذات مرة إنك... منجذب إليّ.

تذكرت هذا عندما وجدت صوتها... اهتمام... انجذاب... هل

يحملان المعنى نفسه؟

بدا وكأن تفكيرها قد تعطّل، فلم تعد تقوى على الكلام. قال لها: «لقد انجذبت إليك منذ البداية».

ولم تجد سوى أن تبتلع بريقها، وحاولت أن تحافظ على كرامتها، فقالت: «تابع كلامك وادهشني».

حاولت أن تبدو هادئة، فأضافت تسأله: «قلت منذ البداية؟».

ـ نعم، منذ رأيتك لأول مرة.

ـ عندما جئت إلى بيتنا؟

يبدو أن ذهنها يعمل ببطء شديد، وجاهدت لتستوعب ما يقوله، إنما تملكها حذر بالغ. هل أراد أن يعذّبها ويرهقها بكلامه هذا، قبل أن يسمح لها بالرحيل؟ عليها أن تكتشف ذلك من أول زلة لسان لتسكته على الفور.

ـ حين زرتكم للمرة الأولى وفتحت لي الباب، فقدت ولأول مرة في حياتي، قدرتي على الكلام.

فسألته برزانة: «بسببي؟».

ـ بسببك... بسبب جمالك.

اتسعت عيناها، وعلّقت: «لا بد أنك تعرف العشرات من النساء الجميلات».

ـ لكن لم تستطع أيّ منهن أن تجعل قلبي يخفق كما خفق حين فتحت لي الباب ذلك اليوم.

شعرت جازلين وكأنها تحلّق فوق السحاب فقالت وهي تجاهد لتتمالك أعصابها: «أخبرت أبي أنك... جئت للاستعلام عن مشاريعه لعيد ميلاد غريس».

ـ جازلين، أريد أن أكون صادقاً معك، وأن تصفحي عني لأنني كذبت على أبيك حين قلت له إنني زرته لأنني كنت في الجوار.

ـ فيما جئت خصيصاً لتتحقق من أمره وترى وضعه!

قالت كلماتها هذه ببرودة، ووقع الحقيقة يهزأ بفكرة سخيفة راودتها من أن هولدن يهتم بها بالمعنى الذي تتلهف إليه.

ـ هذا صحيح.... ثم...

وسكت، ثم عاد يتمتم.

ـ يا للجحيم... كنت أعلم أن الأمر لن يكون سهلاً. هذا ولم أبدأ بعد.

ردت عليه بحدة: «يمكنني أن أرحل بسهولة».

فأجاب على الفور: «لا سبيل إلى ذلك! هذه الفرصة لن تتكرر ثانية».

فقالت بازدراء: «نحن وحيدان هنا، وأنا أسيرتك فاستغلني كما تريد!».

ـ هذا ما أنويه فعلاً، فقد تألمت بما فيه الكفاية وتراجعت كثيراً ولن أدع هذه اللحظة تفوتني!

ـ أنت تألمت...

رددت ذلك وقد توقّف ذهنها عن التفكير مجدداً، ثم عادت وسألته: «ماذا كنت تقول؟».

ربما إذا كرر كلامه يمكنها أن تفهم شيئاً. ولدهشتها، كرر هولدن ما كان يقوله... وكأن من المهم بالنسبة إليه أن يوضح لها ما حدث.

ـ كنت أقول إنني زرتكم في بيتكم عمداً. فأمر خالتي يهمني جداً حتى دون أن تتصل بي أمي، لأنني أعرف كم تنخدع بسهولة، هي التي صدّقت لسنوات طويلة أكاذيب زوجها السابق آرشي كرادوك. وعندما اتصلت بي أمي لتطلب مني أن أزوركم وأتعرّف إلى الشخص الذي تزوّج ثلاث مرات من قبل، والذي تقابله أختها كثيراً، سرّني القيام بهذه المهمة.

علمت جازلين منذ حفلة عيد ميلاد خالته أنه يريد أن يتحقق من أمر أبيها، لكن رغم ذلك حاولت أن تظهر غضبها لوقاحة هولدن. ولو أنها لم تتعرف إلى غريس وتحبها، لنجحت في ذلك، لكن غريس ذات طبيعة رقيقة ولطيفة وطيّبة تجعلها عرضةً للاستغلال. وهكذا، أحست بأن سخريتها من مبادرته أمر لا معنى ولا لزوم له، مع أنها لم تستطع أن تمنع نفسها من إظهار

بعض التحدي. فقالت بجفاء: «العشاء!».

ـ أعجب كيف استطعت أن تتحمل دعوته على العشاء!

ودهشت مرة أخرى عندما تقبّل هولدن لهجتها الغاضبة كأنه يستحقها. لم يجبها في الحال، لكنه اعترف قائلاً:

ـ لم يكن لديّ هذه النية قبل أن أقرع جرس بابكم. لكن بعد أن رأيتك، وبعد أن قابلت أباك، اقترحت أن نحتفل، نحن الأربعة، بعيد ميلاد خالتي معاً.

فقالت دون وعي: «ظننت أن دعوتي فكرة خطرت لك في ما بعد».

فقال هولدن برقة: «يا عزيزتي... أنت كنت فكرتي الأولى».

لم تعد جازلين قادرة على التفكير، وتلاشى عن وجهها ذلك الجمود الذي جاهدت للحفاظ عليه، وصرخت به:

ـ إياك، أن تكمل، يا هولدن.

فكلمة عزيزتي تكفي دون بقيتها.

وكان جوابه أن انتقل بسرعة من مكانه وتقدّم ليجلس على الأريكة قربها. أمسك بيدها وقال ملاطفاً: «لا تتكدّري. أعدك بأن أحاول تصحيح الأمور، فأنت آخر شخص يمكنني أن أؤذيه».

قالت له متضرعة: «دعني أذهب إذن!».

وأخذت نفساً عميقاً، إرتجافها لمجرد أن أمسك بيدها سيفضح حبها له. لكنه رفض، قائلاً: «لا... لا يمكنني ذلك».

ـ لا يمكنك؟

ـ أتراني أخفيت مشاعري إلى حد جعلك لا تدركين ما تعنينه لي؟

آه، يا هولدن... أترى كلمة الاهتمام تعني... مجرد الاهتمام؟ أم، وهذا هو السؤال الكبير، تعني... الحب؟

ولم تستطع أن تطرح سؤالها هذا. خافت من السؤال، لا بل من الجواب الذي قد تتلقاه وتمتمت تقول: «أنا لم أكن أعلم أنك تكنّ لي... أيّ مشاعر».

فكان جوابه أن مال نحوها وضمها بين ذراعيه برقّة. ابتعدت عنه مذهولة، وجلست جامدة تحدق فيه. قال لها برقة: «يا جازلين الحلوة، لا أظنك تعلمين. ولكن صدقيني إذا ما قلت لك إني غارق في عالم من المشاعر والعواطف».

لم تصدق ذلك... لكنه قال إنه سيكون صادقاً معها. لا، لا يمكن أن يحمل لها المشاعر نفسها التي تكنّها له هي. وأحست بأنها مدفوعة إلى تسأله: «مشاعر من أي نوع؟».

فأجاب بصراحة: «من أين أبدأ؟ الغيرة العمياء».

فاندفعت تسأله: «الغيرة العمياء؟ ممن كنت تغار؟».

فاجاب بابتسامة رقيقة: «من «ركس ألفور» وهو يقبل وجنتك، ويغازلك...».

هتفت بدهشة بالغة: «كنت تغار من ركس؟».

ـ لقد غرت بشكل أعمى.

فشهقت، وقالت: «لكننا، كنا بالكاد نعرف بعضنا».

ـ جلّ ما أعرفه هو أنّ شعوراً جنونياً تملّكني وأنا أراك تضحكين مع شخص آخر. هذا الافتتان، تسارع دقات قلبي طوال احتفالنا بعيد ميلاد خالتي.

أخذت جازلين تحدق فيه، وسألته مذهولة: «هل كنت... مفتتناً... بي؟».

ـ يا عزيزتي... لقد أذهلني هذا أكثر مما يذهلك. الشعور الذي تملّكني حينذاك كان جديداً عليّ... وفوق مستوى إدراكي... جعلني أتخبط.

ـ أنا لم...

كان حلقها جافاً، فابتلعت بريقها لتتمكن من الرد، وهتفت بصوت مخنوق: «لم يكن لديّ فكرة!».

نظرت في عينيه فتسارعت دقات قلبها أكثر. لم تر في نظراته سوى

الإخلاص، وكأن عينيه تقولان لها: «صدقيني... ثقي بي».

سألها: «أنّى لك أن تعرفي؟ فقد ناضلت لكي أخفي مشاعري. كما عانيت يا عزيزتي أعظم ألم منذ سقطت صريع مشاعري نحوك. عانيت وما زلت أعاني».

سعلت، متوترة الأعصاب: الاهتمام... صريع مشاعره... هل يعني هذا الحب؟ ما زالت عاجزة عن طرح السؤال... لم تجرؤ على السؤال خوفاً من أن يسفر هذا الفرح الهائل في قلبها عن... عن لا شيء. وهمست: «استطعت إخفاء ذلك بشكل ممتاز».

فعاد يحضنها برقة، وقال: «يا جازلين الحلوة، ذهبت تلك الليلة إلى بيتي لكي أعيد حساباتي».

ـ وهل... هل استطعت ذلك؟

ـ لا، كنت تائهاً ضائعاً. أردت أن أراك ثانية ولكننا تشاجرنا في موقف السيارات، ولاحظت أنك حذرة جداً بالنسبة للعلاقات العاطفية.

ـ أنا لست كذلك.

ـ مع من خرجت أكثر من ثلاث مرات؟

لقد هزمها في هذه النقطة. ولكن...! اندفعت تسأله وقد اتسعت عيناها: «وهل أردت أن تراني أكثر من ثلاث مرات».

ـ نعم، أكثر من ذلك بكثير، ألم أقل لك إنني كنت مفتوناً بك؟

فتمتمت وهي ترتجف: «أواه، يا هولدن».

ـ لا تخافي، يا صغيرتي. لن أؤذيك أبداً.

الامر الوحيد الذي خشيته في تلك اللحظة، هو أن تكون قد اساءت فهم كلامه. إن هذا أروع من أن تتصوره وتصدّقه، فاهتمام هولدن بها هو الحب الذي تريده. لكن غريزتها حذّرتها من أن تثق بما تعكسه عيناه وبرّقته، لأن كلامه من الروعة بحيث... خافت أن تثق به.

ـ أنت... لم تتصل بي إلاّ بعد أسبوع، ولأن امرأة جشعة تلاحقك.

ـ ذلك كذب. كله كذب.

وعندما نظرت إليه بحيرة، ابتسم متابعاً: «لو كنت أعاني من مشكلة مماثلة، لاستطعت حلها دون مساعدة».

ـ أتعني أنه لم يكن هناك امرأة تلاحقك...؟

ـ لن أكذب عليك أبداً بعد الآن.

وعدها بذلك فطرفت بعينيها. وعد كهذا يمكن اعطاءه حتى لو لم يشأ أن يقيم علاقة عاطفية معها. واعترفت بأنها مضطربة ومشوشة الذهن، فهو يعني أنه يريد أن يبقيا صديقين في المستقبل وأن يتقابلا مرة أخرى!

وتابع يقول: «لكن الكذب بدا لي حينذاك ضرورياً».

فنظرت إليه دون أن تفهم وسألته: «لماذا؟».

ـ لأن...

سكت وقد بدا عليه التوتر، ثم أمسك بيديها الإثنتين وهو يضيف: «أردت أن أتقرّب منك، يا جازلين. أردت أن نتعرف إلى بعضنا البعض. لكن ما هي الفرصة التي سأنالها، هذا إذا ما كنت محظوظاً ووافقت على الخروج معي... ثلاثة مواعيد لا غير. وبعد ذلك، وداعاً يا هولدن».

ـ رباه.

اتسعت عيناها وهي تشهق بعجب لما ذهب إليه تفكيره.

ـ أعلم ذلك. لقد ذهلت أنا نفسي لتحايلي. ولكنني لم أعرف الحب من قبل. ولهذا، إذا خرجت معي لتحميني من اللواتي يطمعن في مالي...

وسكت، ثم سألها بسرعة: «ماذا حدث؟ لِمَ تبدين مذهولة؟ كل ما فكرت فيه هو أن سهرتنا لن تعتبر موعداً إذا ما وافقت عليها...».

سألته بصوت أجش: «ماذا قلت؟».

ـ عن كذبي عليك و...

فقاطعته بصوت مخنوق: «بل قبل ذلك... قلت إنك لم تعرف الحب من قبل...».

ـ نعم، ولكن...

وسكت للحظة، قال بعدها ببطء: «أترين إلى أين أوصلتني يا امرأة؟ لا أدري أين أنا الآن! أخبرتك كل هذا لأعترف لك باهتمامي وحبي لك».

حبه لها... إنه يحبها! وأخذت تحدق فيه صامتة وهي ترتجف فقال: «آه، يا عزيزتي، يا عزيزتي... يا أعز الناس يا جازلين... أحبك، يا حبيبتي الحلوة، أحبك لدرجة تفقدني صوابي».

فهمست: «أواه، يا هولدن».

عانقها ثم سألها: «أنت تحبينني، أليس كذلك؟ لم تكذبي حين قلت إنك تحبينني!».

فقالت بخجل: «لا، لم أكن أكذب».

بدا كأنه يريد أن يعانقها ثانية.

لكنه قال: «هل تكررين ما قلته؟ أرجوك؟».

لم تصدّق جازلين نظرة الإنهاك التي بدت في عينيه. فابتسمت له، وقالت: «أحبك. أحبك يا هولدن هاتاواي».

فصرخ: «جازلين».

وفي اللحظة التالية كانت بين ذراعيه، شدّها إلى قلبه وهو يقول: «جازلين... آه، يا جازلين، هل أنت واثقة؟».

ـ واثقة تماماً، وأنت؟

ـ حبك محفور في قلبي منذ اللحظة التي رأيتك فيها. وأنتِ متى؟

ـ أتسألني متى اكتشفت أنني أحبك؟

ـ نعم، أرجوك؟

ـ منذ تلك الليلة، يوم الإثنين الماضي عندما... بعد أن أصلحت لي جهاز التلفزيون.

ـ آه، يا جازلين الجميلة، تلك الليلة إذن؟ كم تمنيت أن اعترف لك بحبي تلك الليلة؟

قالت له بدلال: «لكنك خرجت وتركتني».

ـ اضطررت إلى ذلك. كنت أحبك كثيراً، وأرغب فيك كثيراً. لكني خفت من أن أخطو على أرض هشّة غير ثابتة.

ـ هل السبب أنك لم تكن تعلم أنني أحبك؟

ـ لأن، يا عزيزتي...

تردد للحظة وكأنه يتخذ قراراً ما ثم تابع يقول: «لأنني، يا جازلين، لأنني أحبك وأرغب فيك بكل جوارحي، أريد أن نصبح أكثر من عاشقين».

حدقت فيه وقد جفّ فمها ثانية: «قلت لي ذات مرة إنك لا تريد أيّ علاقة غرامية».

فقال بحزم: «لم أقل هذا، كما لم أشأ أن أخرج معك ثلاث مرات فقط لتقولي لي بعدها، الوداع. لكن، وفي الوقت عينه خفت أن أخبرك بما أريده حقاً، فأخيفك إلى الأبد».

قالت، شاعرة بالاضطراب والتشوش: «عدت تتحدّث بالألغاز».

حاول عقلها أن يفسّر ما سمعته من هولدن الذي ابتسم قائلاً: «لومي نفسك يا صغيرتي. قبل أن أعرفك، عشت حياة منتظمة، وكنت عضواً صادقاً في المجتمع».

ـ وهل غيّرت أنا ذلك؟

ـ قبل أن أعرفك، ما كنت لأفكر في حيلة لأدعو خالتي لقضاء إجازة في هذا البيت.

فوجئت جازلين بقوله هذا، وابتعدت عنه لتنظر إليه بحيرة: «لكن غريس سبق أن قضت إجازاتها هنا».

ـ هذا صحيح. لكن هذه المرة كان الأمر مختلفاً، فقد أخبرتني خالتي عن توني جونستن واتصالاته، وكيف اقترحت عليك أن تبتعدي عن البيت لفترة. وفكرت أنا في أحسن طريقة لأراك، فاقترحت عليها أن تنصحك بفترة راحة ودعوتها مع أبيك إلى منزلي لتتنشّق هواء البحر لأسابيع».

ـ هل ظننت أن غريس ستدعوني؟

ـ كنت واثقاً من ذلك، كما كنت واثقاً من أنها ستتصل بي لتسألني إن كان لديّ مانع؟

فشهقت جازلين بذهول: «يا إلهي، ألم تمانع أنت؟ هل أردتني هنا؟».

ـ يا حبيبتي، قررت إذا ما حضرت إلى ساندنبكس أن آخذ بضعة أيام عطلة لأراك يومياً، فلا اضطر إلى دعوتك للخروج معي. ويمكننا بهذا أن نتعرف إلى بعضنا البعض وقد تثقين بي مع الوقت.

وسكت، ثم قال برقة: «كم أحبك».

فهتفت وهي تدنو منه: «آه يا هولدن!».

وتعانقا لدقائق طويلة بحب بالغ، ثم تمتمت جازلين: «لم تخبرني غريس أنني سأمضي إجازتي في بيتك».

ـ خالتي لا تعرف المراوغة على الإطلاق. كنت أعلم أن همها الأكبر هو أن تبعدك عن توني جونستن وأن ترتاح أعصابك. وكان كل أملي أن أصل إلى هنا قبل أن تكتشفي الحقيقة، رغم إنني قلت لها إن ارتياحك سيزداد إذا بقي اسم مضيفك مجهولاً.

ـ وهل وافقت غريس؟

ـ قالت إنها ستبذل قصارى جهدها، إلاّ أنها لن تكذب، وإنها ستخبر أباك. لكنها عادت وقالت إنه في هذه الأيام غارق في الحب ولا يستوعب الأمور جيداً.

فهتفت وقد أذهلها تخطيطه لهذه الأمور: «أنت محتال كبير».

ـ بل أنا رجل عاشق، يا حبيبتي. عاشق تملؤه اللهفة، ويحتاج لقضاء بعض الوقت معك. وكما سبق وذكرت، دعوتك إلى هنا كانت فكرة نيّرة.

اغرورقت عيناها بالدموع، وتنهدت: «أحبك!».

فنظر إليها بشغف وقد بدا عناقهما أمراً طبيعياً في تلك اللحظة.. همست: «آه... يا هولدن».

فقال بنعومة: «ألا تعلمين أين أنت الآن؟».

فابتسمت وأجابته: «فوق السحاب!».

ـ أعشقك.

وتعانقا من جديد، فقالت له: «كم أنا مسرورة بعودتك اليوم».

فهمس يقول: «ليس بقدر سروري، يا حبيبتي. لم أشأ الرحيل، ولا أعرف كيف استطعت الابتعاد عنك يوم الثلاثاء الماضي».

فغمغمت حالمة: «لقد ناداك الواجب، كان لديك عمل».

ـ يا حبيبتي، لم أرحل يوم الثلاثاء بسبب العمل.

سألته بدهشة: «لم تفعل؟».

ـ يا عزيزتي، حين دخلت غرفتك لإصلاح جهاز التلفزيون، تعانقنا مما ملأني لهفة إليك، فاحتجت إلى ما يهدّئني. كنت ظمآناً إلى حنانك... إلى ذراعيك. وأردت المزيد.

هتفت بروح معذبة: «أواه، يا حبيبي!».

عانقته بلهفة وحنان، فقال: «إذا عانقتني أكثر، سأنسى ما كنا نقول».

ـ كنا نقول... قلت... إنك... إنك لم ترحل يوم الثلاثاء بداعي العمل.

ـ أنت ذكية. لم يكن العمل الذي استدعاني، إنما التعقل.

فتملكها الفضول، وسألته: «التعقل؟».

ـ تعانقنا تلك الليلة، ويا له من عناق! وأصبحت متلهفاً للبقاء معك، ولقضاء أيامي معك.

قالت بخجل وقد احمر وجهها: «و... ولما لم تفعل؟».

فابتسم وأجاب: «يا حبيبتي الصادقة، حبي لك يزداد كلما لاحظت عدم تكلفك».

عاد يعانقها بحنان، ثم تابع يقول: «كان عليّ أن أبتعد عنك، أن أهدأ، وأن أراجع أفكاري. حبي لك منعني من التفكير. لكن غريزتي قادتني إلى

الطريق الصحيح قلتِ إنك تميلين إليّ أكثر من أيّ رجل عرفته، فأردت أكثر من ذلك».

ـ أردت حبي؟

فقال وهو يضمها إلى صدره أكثر، وعيناه في عينيها: «أردتكِ أنتِ. أردتكِ في حياتي بصورة دائمة يا جازلين».

انتفضت مبتعدة عنه وقد اتسعت عيناها، فأمسك بها بثبات، بينما ابتلعت هي بريقها.

سألته وهي ترتجف: «أحقاً تريد ذلك؟».

لم تره جازلين يوماً بمثل هذا الحزم والجد وهو يضيف: «لم أكن واثقاً مما أريده في حياتي بقدر ما أنا واثق من هذا. لقد رحلت يوم الثلاثاء الماضي لأنني شعرت بأنني إذا استسلمت لرغباتي، لقضيت على حظي معك. لم أذق طعم النوم ليلة الإثنين، ورحت أفكر فيك وفي أنك تنامين في الغرفة المجاورة. قلت لك، حينها، إنني لا أفكر بشكل منطقي وكان هذا صحيحاً... لهذا احتجت للابتعاد عنك كي أفكر بوضوح».

ـ وهل فكرت بوضوح؟ أعني أثناء غيابك؟ عندما رحلت يوم الثلاثاء قلت إنك... رغم أنك منجذب إليّ...

قاطعها ليريها أنه لم ينس كلمة واحدة من حديثه: «منجذب جداً».

ـ نعم، منجذب جداً، لكنك لم تكن تريد علاقة عاطفية معي.

وابتلعت بريقها ثم أضافت تسأله: «هل غيّرت رأيك؟».

هز رأسه ببطء وأجاب بثبات: «لم أغير رأيي».

فتمتمت: «آه... أتريدنا أن نكون صديقين حميمين؟».

فابتسم، وأجاب: «بل أكثر من صديقين... وذراعاي تحيطان بك بهذا الشكل».

ـ أنا مخدوعة إذن!

ـ وأنا أخشى أن أخيفك.

فحدقت فيه وقالت: «لماذا؟ هل أنت خائف من...».

وسكتت. ثم أضافت وقد تملكها الاضطراب البالغ: «لا أفهم».

ـ أحبك، يا جازلين، أحببتك منذ البداية. عدت إلى بيتي تلك الليلة، بعد عيد ميلاد خالتي، وأنا أعلم أنني مفتون بك، رغم شجارنا البسيط. عند ذلك عرفت ما أريده.

وسكت ليشدّ قليلاً على كتفيها ثم تابع يقول: «ولكن لأحصل على رغبة قلبي، لجأت إلى الكذب».

ـ وهكذا قررت أن تدعوني إلى حفلة العشاء...».

فأكمل كلامها: «وأوهمتك أن امرأة تلاحقني من أجل مالي. كذب... كله كذب، لقد أحببتك، يا غاليتي، وأردت حبك. شعرت بأنك لن تفهمي عواطفي الجارفة بالكلام أو النظرات. لكنني وجدت الصبر، فيما راح حبي لك يزداد يوماً بعد يوم».

سألته والذهول لا زال يتملكها لأن هولدن أحبها طوال تلك المدة: «هل كان حبك لي متعباً لهذا الحد؟».

ـ ليس لديك أدنى فكرة. لقد رقصت معك في تلك الحفلة مرة واحدة فقط، لأن وجودك بين ذراعي كاد يفقدني السيطرة على نفسي، ولم أجرؤ على الرقص معك مرة أخرى.

ـ آه!

فقال ممازحاً: «أنت تتأوهين... فيما كنت أكافح كي لا ألحق بك يوم السبت الماضي، خوفاً من أن استعجل الأمور... وإذا بي أجد، عندما حضرت، أنك ستخرجين مع رجل آخر».

ـ من هو؟ آه، دايفيد مسغروف. سأعترف لك، إذا كان هذا الأمر يخفف عنك، بأنني سررت جداً يوم الإثنين، سررت بحضورك.

ـ كرري كلاماً كهذا، يا عزيزتي، فأنا بحاجة لسماعه.

ـ أصحيح ما تقوله؟

ـ كل ما أقوله صحيح من الآن فصاعداً.

وأخذ يعانقها بشدة، لكنه ما لبث أن تراجع ليعترف قائلاً: «ليس لديك فكرة كم اضطررت لكبح جماح مشاعري».

ـ أحب أن أسمع ذلك إذا أمكن.

وضحكت بمرح، فقال: «لكم تملكني الشوق ووددت لو آخذك بين ذراعي. سبحنا... بملابسنا، سبحنا ذات مرة... فازداد حبي لك. لقد عانيت من الغيرة، ومع ذلك، وكي لا أدع مسغروف يعانقك، بقيت أمام البيت حتى عدت من موعدك».

ـ هذا غير صحيح لأنك خرجت أنت أيضاً في موعد تلك الليلة.

ـ لا، لم أخرج، لكنني أوهمتك بأنني خرجت.

ـ أنت...

وشهقت ثم قالت بمحبة: «خدّاع..!».

ـ أصرّ على أن يسود الصدق بيننا من الآن فصاعداً.

ـ إذن، أعترف بأنني أردت أن أسألك عن المرأة التي واعدتها تلك الليلة، لكنني لم أستطع. وأظنني شعرت بالغيرة أنا أيضاً دون وعي مني.

فضحك وقال: «كانت موسيقى، موسيقى عذبة على أذني حين سمعتك تقولين أنك ستفتقديني إذا ذهبت إلى لندن، فهل افتقدتني؟».

ـ لقد شغلت أفكاري طوال الوقت.

وشعرت به يحتضنها بشدة فأضافت: «عند ذلك أدركت أنني أحبك كثيراً، فقد شعرت بوحشة بالغة، وزاد في عذابي اتصال تلك المرأة التي لم تعجبني أبداً. اتصلت وطلبتك في الأمس، فاكتشفت عندها معنى الغيرة».

طبع قبلة خفيفة على جبينها ليخفف عنها، ثم قال: «سامحيني يا حبيبتي، لكن بدا لي أني لاحظت شيئاً من الغيرة في صوتك عندما اتصلت بك. قلت لي يومها إنك أخبرت المرأة التي اتصلت بي أنك صديقتي التي تعيش معي».

ـ هل أزعجك ذلك؟

ـ أزعجني؟ يا إلهي! لقد أذهلني أن أسمع الغيرة في صوتك، وإن لم تكن جلية، لكنني تجرأت على تصديقها. وفكرت في ما يجعلني أبقى في لندن بينما أنت هنا! يا حبيبتي، يا حبيبتي جازلين، عندها، أدركت أنّ عليّ أن أراك في أسرع وقت ممكن.

ـ لكنك أجّلت عودتك حتى اليوم!

ـ توترت أعصابي، ولكن بعد ليلة أرق أخرى، تقولين لي إنني أبدو متعباً. لم اختبر الأرق حتى عرفتك.

ابتسمت مسرورة، فعانقها مجدداً ثم تابع يقول: «جئت، يا حبيبتي، إلى هنا. بعد أن أمضيت أسابيع وأسابيع من العذاب، أكبح خلالها مشاعري، وأخشى أن أغامر فاتعرض للفشل. وأخيراً، أردت أن استسلم لرغبتي في أن احتضنك، وأن أخبرك كيف أضاءت ابتسامتك حياتي. وأظن أن الوقت مناسب الآن لكي...».

سكت، فبدا لجازلين أن الإنهاك والتوتر قد تملكاه من جديد. فقالت تحثّه: «مناسباً لماذا...؟».

حاولت أن تساعده... فهي تحبه. أخذ نفساً عميقاً ليهدأ وقال بحزم: «لقد راوغت طويلاً ودرت حول الموضوع، لكني أحجمت عن الإقدام خوفاً من الفشل المريع. فكرت في أنك بحاجة إلى تفسير لسلوكي، بعد أن خفت وتراجعت في البداية حين رأيتك تخافين وتضطربين، ولكن... هذا يكفي».

ابتلعت جازلين بريقها. لم يكن لديها أدنى فكرة عمّا هو آت، لكن نظرة الإنهاك ما زالت تعلو وجهه وهي تود أن تساعده... وبدا لها جاداً للغاية.

ـ ماذا؟

هذا كل ما استطاعت قوله، فأجاب: «أعلم الآن أنك تبادلينني المشاعر. أحسست نهار السبت الماضي أنك اضطربت حين اقتربت منك

واحتكت يدانا فوق الحوض. لكن لم استطع أن أعرف إن كانت علامة سلبية أم إيجابية».

ـ هذا صحيح.

اعترفت بذلك ظناً منها أنه سيبتسم، لكنه لم يفعل، وبقيت ملامحه جامدة منهكة إنما حازمة: «جازلين، يا عزيزتي، ذلك السبت، في السوبر ماركت...».

أخذ يذكّرها وأثبت لها أنه لم ينسَ أيّ كلمة مما قالته: «قلت إنك لم تجدي بعد الرجل الذي تتمنين أن يكون والد طفلك».

فاتسعت عيناها، وقالت: «نعم.. أتذكر».

ابتلعت بريقها حين شدّ على كتفيها وقد بدت في عينيه نظرة تصميم.

ـ ما رأيك، يا جازلين، في أن تكوني أم أولادي ما دمت تحبينني؟

انقطعت أنفاسها، وعندما أخذ قلبها يخفق بسرعة، خشيت أن يغمى عليها. بللت شفتيها الجافتين بلسانها، وسألته: «هل تريد... أن... نعيش معاً؟».

فهز رأسه نفياً وأجاب: «بل أريد أكثر من ذلك، يا عزيزتي».

شهقت وقد توقّف ذهنها عن التفكير، وسمعته يضيف: «ما أريده هو وثيقة تسبق ولادة أولادنا؟».

ـ أتعني...

ولم تستطع أن تكمل، فقال: «أعني شهادة زواج».

وأمسك بها بحزم عندما حاولت، غريزياً، الإبتعاد عنه، ثم قال يهدئها: «لا تخافي، يا حبيبتي، أعلم أنني لم أمنحك فرصة لتتعودي على فكرة الزواج ولكن...».

ـ هل... هل كنت تفكر في الزواج منذ البداية؟

ـ نعم. مبدئياً. قبل أن أعرفك، كانت خالتي تشغل بالي، ولكن عندما تعارفنا، أصبح كل شيء آخر ثانوياً، وتحوّل انشغالي إليك.

ـ أنا؟ لماذا؟

ـ حين قلت لك إنني أشعر بالارتياح معك لأنك لن تحاولي دفعي إلى الزواج، كان الزواج منك، ما أطمح إليه.

حدّقت جازلين فيه بحيرة، وخفقات قلبها تتسارع. لم تستطع أن تصدق ما يحدث لها.

ـ أصحيح ما تقوله؟

هل يعرض هولدن عليها الزواج. نعم لقد عرض عليها الزواج.

ـ نعم، صحيح. لم أكن صريحاً معك من قبل لأنني كنت أعلم أنك ستهربين مني إذا ما عرفت ما يدور في رأسي وقلبي. ولكن كل هذا يجب أن ينتهي الآن. لقد عدت هذا الصباح، وكدت أصاب بنوبة قلبية، عندما وجدت البيت مقفلاً فظننتك قد رحلت.

ـ أنت.. كنت أسير على الشاطىء.

قالت ذلك وهي تعلم أنه كان يعرف مكانها إذ قابلها هناك. لكن شيئاً ما زعزع كيانها فجعلها عاجزة عن التركيز... ولم يشغل بالها سوى أن هولدن عرض عليها الزواج.

ـ خرجت أبحث عنك بعد أن ركضت إلى غرفتك وعرفت من حقيبتك أنك لم ترحلي.

ـ أما أنا فظننت أنك عدت لتطلب مني شخصياً أن أرحل.

ـ هذا غير ممكن، يا حبيبتي، فأنا أريدك أن تعيشي معي هنا، وأن ترافقيني أنّى ذهبت. ألم تعرفي بعد؟ ألم تدركي أن رغبتي في رؤيتك أخرستني هذا الصباح وجعلتني ألتهم وجهك الفاتن بعيني؟

هتفت وقد تهدّج صوتها: «آه، يا هولدن».

ـ آه، يا حبيبتي، ثقي بي! دعيني أساعدك لتكسري الحاجز الذي أشرت إليه... والذي يمنعك من الزواج. يمكننا معاً، أن نمحو صدمات الماضي. أنا أحبك، وأنت تحبينني يا جازلين. أواه، يا جازلين.. يمكننا،

معاً، أن نعالج أيّ مشكلة، أتعهد لك بذلك.

نظرت جازلين إليه مطوّلاً، ورأت حبه لها في عينيه، وأخيراً تنهدت وهي ترتجف، ثم همست: «آه، يا هولدن! في الأمس قررت، وبكل حزم، ألاّ أتزوج أبداً».

شحب وجه هولدن، لكنه لم يقبل بهذا الكلام. فسألها بخشونة: «واليوم؟ ماذا عن اليوم يا جازلين، بعد أن عرفت أنك ملكت قلبي، وأن حياتي بين يديك؟».

إبتسمت وقالت له بسرعة: «اليوم أعتقد أنني سأتزوج، شرط أن يطلب مني ذلك الرجل المناسب».

ـ يا حبيبتي الحلوة... وهل أنا الرجل المناسب؟

فهمست: «أنت تعلم أنك كذلك».

صرخ وهو يحيطها بذراعيه يعانقها ثم سألها بلهفة: «يا حبيبتي. هل ستتزوجينني؟».

فابتسمت، وقالت: «أنا... لا أظن أن موسيقى الزّفة مرهقة، على أيّ حال».

ـ يا حبيبتي.

كانت الموافقة مرسومة في عينيها وفي ابتسامتها وفي كلامها عن موسيقى الزفاف. لكنه أراد دليلاً أقوى، فسألها بصوت عميق: «هل هذا يعني نعم؟».

فأجابت بصوت اجشّ: «نعم، ونعم إلى الأبد».

فصرخ بابتهاج: «آه، كم أحبك!».

وكانت البداية...

***